وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة ابن خلـــدون – تيـارت –
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في " تاريخ المغرب العربي المعاصر
الموسومة بـ:

القضية الفلسطينية في مواقف زعماء التيار الإصلاحي والليبيرالي التونسي- الثعالبي،الفاضل بن عاشور وبورقيبة نموذجا- 1917-1965

اعداد الطالبتين :

-بوشرابة نسرين

-بلطرش امال

اشراف الاستاذ:عنان عامر

لجنة المناقشة

د حسنة كمال .	**أستاذ محاضر أ**	**رئيسا**
د عامر عنان .	**أستاذ محاضر أ**	**مشرفا و مقررا**
د العربي بوعناني .	**أستاذ محاضر أ**	**مناقشا**

السنة الجامعية: 1445-1447 هـ/2024-2025

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا

إلى إنجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد على انجاز

هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات، ونخص بالذكر الأستاذ المشرف

الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا

البحث

إهداء

وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ [يونس: 10]

الحمد لله عند البدء وعند الختام،فما تناهى درب،ولا ختم جهد،ولا تم سعي إلا بفضله.

من قال أنا لها نالها وأنا لها إن أبت رغما عنها أتيت بها.

لم تكن الرحلة قصيرة ولم يكن الحلم قريبا ولا الطريق كان محفوفا بالتسهيلات ولكنني فعلتها ونلتها الحمد لله تحقق ما كان بالأمس حلما.

أهدي نجاحي هذا إلى:

من زين إسمي بأجمل الألقاب،إلى الذي أعطاني بلا مقابل ودعمني في كل الأوقات،إلى الذي حمل معي هم دراستي وكان معي في لحظات قوتي وضعفي،إلى الذي بذل جهد السنين من أجل نجاحي،إلى فخري واعتزازي والدي الغالي حفظه الله.

إلى من جعل الجنة تحت أقدامها،إلى التي علمتني الصبر والإجتهاد،إلى داعمي الأول التي أعطتني القوة والعزيمة ،من سهلت لي الشدائد،إلى من أفنت عمرها في سبيل أن أحقق طموحي،إلى من سهرت وكافحت من أجلي،إلى من كان دعائها سر قوتي و نجاحي أمي الحبيبة ، شكرا لك على صبرك وتحفيزك المستمر أطال الله في عمرك .

إلى ضلعي الثابت وسندي في الحياة إلى الذي لا يحبطني ويؤمن بشجاعتي ويدعمني مهما ضعفت ودائما واقفا خلفي أخي العزيز إلى خيرة أيامي وسندي في الحياة أختي إلى عائلتي من كبيرها إلى صغيرها .

إلى كل من كان عونا و سندا في هذا الطريق أهديكم هذا الإنجاز وثمرة نجاحي الذي لطالما تمنيته ،

ها أنا أتممت أول ثمراته وأتمنى من الله أن ينفعني بما علمني.

الطالبة: بوشرابة نسرين

إهداء

إلى وجه خالق الأكوان، و رسوله المصطفى العدنان.

إلى من ربياني و تحملا في ذلك المشقة و العناء.

إلى والديا الكريمين حفظهما الله و رعاهما.

إلى سندي في هذه الحياة زوجي و أولادي كل باسمه، أطال الله في أعمارهم بالصحة و العافية.

إلى أساتذتي أدام الله عطاءهم.

إلى إخواني و أخواتي حفظهم الله و رعاهم.

أهدي ثمرة جهدي هذا.

الطالبة: بلطرش آمال

قائمة المختصرات

بالعربية	
ت أو تر	ترجمة
تع	تعريب
ج	جزء
د م	دون مكان
د س	دون تاريخ
د ص	دون صفحة
ص	صفحة
ص ص	تعدد الصفحات
ط	طبعة
د ط	دون طبعة
د ت	دون تاريخ
ع	عدد
بالفرنسية	
édition	**Ed**
Ibidem	**Ibid**
Opus citatum	**Op.cit**
Page	**P**
plusieurs pages	**PP**
Tradution	**Tr**

مقدمة

مقدمة

شهد العالم العربي خلال القرن العشرين سلسلة من التحولات السياسية الكبرى نتيجة الاحتلالات الاجنبية والتقسيمات التى فرضتها القوى الاستعمارية ،فكانت تونس كغيرها من البلدان المغاربية خاضعة للاستعمار الفرنسي الذي سعى الى ترسيخ هيمنته بطرق متعددة ،سياسية وادارية وثقافية .وقد واجه الشعب التونسي هذا الاحتلال بمختلف اشكال المقاومة من اجل استرجاع سيادته الوطنية وكرامته .

وفي خضم هذه التحولات التي عاشتها الشعوب العربية ،برزت القضية الفلسطينية باعتبارها جوهر الصراع العربي الاسرائيلي ،ومحل اهتمام واسع داخل الاوساط الشعبية والسياسية في الوطن العربي ،اذ لم تقتصر على كونها قضية شعب محتل بل اصبحت رمزا لوحدة العرب ونضالهم المشترك ضد الاستعمار و الاستطان .وكان لتونس نصيب وافر من هذا الاهتمام ،حيث شكلت القضية الفلسطينية احد ابرز مشاغل رموز الحركة الوطنية التونسية باختلاف تياراتها الفكرية والاصلاحية منذ بداياتها، واعتبرتها جزءا من انشغالاتها ونضالاتها ضد الاستعمار عامة ، وهو مايعكس عمق الوعي القومي والاسلامي لديهم .

1-أهمية الموضوع: تكمن أهمية الموضوع تكمن في إظهار مدى مشاركة وموقف النخبة الوطنية التونسية اتجاه فلسطين ورغبة منا في إبراز التضامن ، هذه الكلمة التي أثارت انتباهنا لما تحمله من معاني قيمة و هي من أبرز المزايا التي عرف الشعب التونسي، مبينين أواصر الأخوة و عمق صلة تونس اتجاه فلسطين على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تعيشها تونس آنذاك تحت وطأة الاحتلال الفرنسي، إلا أنها حاولت أن تقدم كل ما بوسعها لدعم الشعب الفلسطيني الشقيق ونقل قضيته للرأي العام الدولي.

2-أهداف الموضوع: نسعى من خلال بحثنا هذا إلى تحقيق الأهداف التالية.

- تسليط الضوء على القضية الفلسطينية من بدايتها.
- محاولة التعرف على الأساليب التي استخدمها اليهود و شرذمتهم في احتلال فلسطين.
- تحديد وتعريف الموقف التونسي من القضية الفلسطينية خلال مراحلها الأولى.

3-أسباب اختيار الموضوع: لقد تم اختيارنا لموضوع البحث لأسباب ذاتية وأخرى موضوعية:

أ-الأسباب الذاتية:

- الرغبة في دراسة المواضيع خاصة التي لها عالقة بتاريخ بلدان المغرب العربي.
- الرغبة في دراسة موضوع مهم كموضوع الحركة الوطنية التونسية وتفاعلها مع قضايا محيطها العربي و الإسلامي.
- بالإضافة إلى أن هذا الموضوع كان من اختيار أستاذنا المشرف الذي اقترحه علينا وهذا ما دفعنا بإصرار وعزيمة وحبا لدراسته ومحاولة الغوص في ثناياه.
- الرغبة الشخصية لنا في دراسة تاريخ تونس في محاولة منا في تحليل الأحداث وترتيبها ترتيبا تاريخي
- محاولة إزالة الغموض عن تلك الحقائق التاريخية التي يكتسيها الالتباس في تاريخ الحركة الوطنية التونسية من موقفها اتجاه القضية الفلسطينية.

ب-الأسباب الموضوعية:

-تتبع الموقف رموز الحركة الوطنية التونسية من تقلبات القضية الفلسطينية.

4-- الإشكالية الرئيسية: ولدراسة هذا الموضوع والبحث فيه تم الانطلاق من الاشكالية الرئيسية وهي:

كيف كان موقف النخبة التونسية الاصلاحية والليبرالية تجاه القضية الفلسطينية بين سنتي 1917م و1965م، وما اثره على تصورهم للتحرر الوطني ؟

02- التساؤلات الفرعية: وتندرج تحت هذه الاشكالية العديد من التساؤلات الفرعية، لعل ابرزها:

أ – ماهو الاطار الجغرافي و البعد التاريخي للقضية الفلسطينية و كيف احتلت فلسطين

ب- ما هو واقع فلسطين بين الانتداب و الاحتلال ؟

ج – ما هي مساهمات وموقف الإصلاحيين الثعالبي والفاضل بن عاشور في الدفاع عن القضية فلسطينية ؟

د – ما هو موقف التيار الليبرالي المتمثل في الحبيب بورقيبة من القضية الفلسطينية ؟

5-هيكل الدراسة: للإجابة على هذه التساؤلات المطروحة اتبعنا خطة بحث تكونت من مقدمة و ثلاث فصول، حيث يندرج في كل فصل مبحثين و الذي بدوره تضمن ثلاثة مطالب أو اثنين حسب المقتضيات التي تناولها المبحث، أبرزنا في المقدمة أهمية الموضوع وأسباب اختياره و المناهج العلمية التي اتبعناها في معالجة الموضوع والصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازها.

اختص الفصل الأول بدراسة شاملة حول القضية الفلسطينية من خلال تسليط الضوء على جغرافية فلسطين القديمة، و كذا دراسة جذور القضية الفلسطينية بدا من الانتداب البريطاني على فلسطين ،ثم تقسيم فلسطين واهم الردود العربية والاسلامية على هذا التقسيم وصولا الى قيام دولة اسرائيل ، فيما خصصنا الفصل الثاني بتسليط الضوء حول المقاومة التونسية للاحتلال الفرنسي من خلال الإصلاحيين الرائدين الثعالبي و فاضل بن عاشور و موقفهما من القضية الفلسطينية، أما الفصل الثالث فتطرقنا فيه إلى موقف التيار الليبرالي المتمثل في بورقيبة من القضية الفلسطينية.

6-منهج البحث: لدراسة موضوع بحثنا ومعالجة محاوره المختلفة وظفنا المناهج العلمية التي تتماشى وطبيعة الموضوع مثل:

أ- المنهج التاريخي الوصفي: حيث أن هذا المنهج يتطلب حضوره باعتبارات في نقلنا للأحداث التاريخية فلابد من اعتماد تسلسل تاريخي وزمني وذلك إلى وصف الأحداث وصفا دقيقا ومتدرجا بالإضافة إلى وصف الأحداث التاريخية .

ب- المنهج تحليلي: وذلك لاستظهار التطور الذي عرفته الحركة الوطنية التونسية ومعرفة الصراعات بالإضافة إلى تحليل ردود الفعل المختلفة حول التطور الحاصل في الحركة الوطنية التونسية وتحليل الاختلاف في المواقف حول القضية الفلسطينية.

07-الدراسات السابقة:

- **أبو جزر أحمد،"بلدان المغرب العربي والقضية الفلسطينية (1948 -1978)"**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر ،جامعة الجزائر2، السنة الجامعية (2013-2014)، حيث تناول فيها الدور التونسي في الحرب العربية الإسرائيلية وكذا بعض الجزئيات على ما آلت إليه العلاقات التونسية الفلسطينية قبل استقلال تونس.

- **الشهيد هاني في مقال له بمجلة المستقبل العربي الذي حمل عنوان "القضية الفلسطينية و دورها في تعميق الوعي العربي لدى التونسيين 1947 –1948** "الذي لخصنا منه أهم المحطات في تاريخ فلسطين بمشاركة التونسيين.

عبد اللطيف الحناشي، موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية (1946 –1965)، مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 18 ،العدد 69، 2007.

8-أهم الصعوبات:

وككل طالب علم واجهتنا صعوبات لعل أهمها:

1/قلة المادة العلمية خصوصا موقف الثعالبي وبورقيبة من القضية الفليسطينية .

2/ضيق الوقت واكتظاظ السنة الدراسية بسبب ظروف العمل.

3/صعوبة الوصول الى الوثائق الارشيفية

4/الطابع الحساس للموضوع المرتبط بالقضية الفليسطينية ومواقف الشخصيات الوطنية ،ما فرض حيادا علميا كبيرا في الكتابة والتحليل .

الفصل الأول: القضية الفلسطينية من الانتداب إلى الاحتلال الصهيوني

- ✓ المبحث الأول: الإطار الجغرافي لفلسطين
- ✓ المبحث الثاني: التطور التاريخي للقضيةالفلسطينية

الفصل الأول: القضية الفلسطينية من الانتداب إلى الاحتلال الصهيوني

تمهيد:

يشير الصراع العربي الإسرائيلي إلى التوتر السياسي والصراعات العسكرية والنزاعات بين عدد من البلدان العربية وإسرائيل، إن جذور الصراع العربي الإسرائيلي مرتبطة في ظهور الصهيونية والقومية العربية قرب نهاية القرن التاسع عشر.

وينظر الفلسطينيون إلى الإقليم باعتباره وطنهم التاريخي الذي عاشوا فيه لآلاف السنين، في المقابل يعتبر اليهود بأنَّها" أرض الميعاد "وأنَّهم وعدوا بهذه الأرض وفقًا لنصوص في التوراة، وفي السياق الإسلامي، فإنَّها أراضي إسلامية. وقد نشأ الصراع الطائفي بين اليهود والعرب الفلسطينيين في أوائل القرن العشرين، وبلغ ذروته في حرب واسعة النطاق في عام 1947 تخلله حملة تطهير عرقي وتهجير كبرى للفلسطينيين من قراهم ومدنهم، وتحول إلى الحرب العربية الإسرائيلية الأولى في مايو 1948 عقب إعلان قيام دولة إسرائيل.

الفصل الأول: القضية الفلسطينية من الانتداب إلى الاحتلال الصهيوني

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لفلسطين

المطلب الأول: الخصائص الجغرافية لفلسطين

01- الموقع:

أ-الموقع الفلكي: تمتدّ فِلَسطين بشكل طولي من الشَّمال إلى الجنوب، وتقع فلكيًّا بين دائرتي عرض 30َ,29 و 15َ,33 شمال خط الاستواء، وبين خطَّي طول 34ْ,15َ و 35ْ ,40َ شرق خط غرينتش.

ب- الموقع الجغرافي: رُسمت حدود فِلَسطين خلال فترة الانتداب البريطاني بتأثير من الحركة الصّهيونية في تلك الفترة؛ لتحقيق مصالحها، خاصّة في شمال فِلَسطين؛ للسيطرة على منابع نهر الأردن، وبحيرتَي طبريا والحولة.[1]

ت- حدود فلسطين: وحُدِّدَت حدود فِلَسطين على النّحو الآتي:

يحدها من الشَّمال لبنان، وسوريا. يبلغ طول الحدّ الفاصل بين فِلَسطين، ولبنان في الشمال 79 كم، أمّا حدُّ فِلَسطين مع سوريا في الشمال الشرقي، فيبلغ 70 كم.

يحدها من الشَّرق الأردن، و يبلغ طول حدّ فِلَسطين مع الأردن 360 كم، يبد أ من التقاء نهر اليرموك مع نهر الأردن، مرورًا بوسط البحر الميت، ووادي عربة، وينتهي بساحل خليج العقبة.

يحدها من الجنوب خليج العقبة، وتشرف فِلَسطين على ساحله بطول 10 ,5 كم، ويمثل البوابة البحريّة الجنوبيّة لها. ومن الجنوب الغربيّ مِصْر، ويبلغ طول حدّ فِلَسطين معه ا 240 كم، يبد أ من منطقة طابا على خليج العقبة حتّى رفح على البحر المتَوَسِّط، يحدها من الغرب البحر المتَوَسِّط، بساحل طوله 224 كم [2].

[1] -جمال سالم، جُغرافيّةُ فِلَسطين وتاريخُها الحديثُ والمعاصر، ج 1، ط3، فلسطين: مركز المناهج، 2020، ص09.

[2] نفسه ،ص09.

02–المساحة: تبلغ المساحة الإجمالية لفلسطين التاريخية 27.009 كيلو متر مربع أما مساحة دولة فلسطين المقترحة على الأراضي المحتلة في عام 1967م (الضفة الغربية وقطاع غزة) فتبلغ 6209 كيلو متر مربع وتمثل 22.95% من مساحة فلسطين التاريخية على النحو التالي:

– مساحة الضفة الغربية 5844 كم^2، وتشكل 21.6% من المساحة الإجمالية لأرض فلسطين التاريخية.

– مساحة قطاع غزة 365 كم^2، ويشكل 1.35% من المساحة الإجمالية لأرض فلسطين التاريخية[1].

03–المناخ: المناخ في فلسطين هو مناخ البحر المتوسط بشكل عام وهو حار جاف صيفاو دافئ ممطر شتاءا، وتتراوح معدلات نزول الأمطار من 600 . 800مم سنويا في مرتفعات الجليل ونابلس والخليل. وفي السهل الساحلي تتضاءل كمية الأمطار كلما اتجهنا جنوبا، حيث تبدأ منطقة الكرمل بحوالي 800 مم، حتى تصل في منطقة رفح إلى حوالي 150 مم سنويا ، أما في منطقة غور الأردن فيصل معدل الأمطار إلى 200 مم سنويا، وفي النقب 50مم سنويا، أما درجات الحرارة فالمناخ معتدل نسبيا بشكل عام، فمعدل درجة الحرارة الدنيا 8° م ،والعليا 25° م، وفي السهل الساحلي ل يتدنى معدل الحرارة عن 19° م.[2]

04 – المسطحات المائية في فلسطين:

تطل فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسط لمسافة تصل إلى 224كم وعلى خليج العقبة لمسافة تصل إلى 10.5 كلم وهناك بحيرة طبريا وهو المسطح المائي الوحيد في داخل فلسطين يبلغ طولها 21.5 وعرضها 12.3 كم.

ويوجد في فلسطين العديد من الينابيع ويصل عددها نحو 860 نبعا تنتشر في المناطق الجبلية والغور[3].

---

[1] – جمال سالم ،المرجع السابق ، ص11

[2] –محسن محمد صالح ،فلسطين سلسلة دراسات منهجيةفي القضية الفلسطينية ،ط1،ماليزيا ،2002،ص30

[3] –جمال سالم ، المرجع السابق ،ص11

أما أنهار فلسطين معظمها قصيرة وموسمية الجريان، وأهم أنهار فلسطين نهر الأردن الذي يبلغ طول 320 كلم، وهناك عدداً من الأنهار القصيرة التي تنحدر على السفوح الغربية للمرتفعات الجبلية لتصب في البحر المتوسط وأهمها نهر المقطع ووادي القرن ونهر الزرقاء ونهر العوجاء.

المطلب الثاني: التضاريس الفلسطينية

تمتاز فِلَسطين بتنوّع تضاريسها، على الرّغم من صِغَر مِساحتها، فهي تضمّ السّهول والمرتفعات الجبليّة، والهِضاب، والأغوار، وعددًا من الأودية، والأنهار.

تمتدّ تضاريس فِلَسطين[1] بشكل طولي من الشَّمال إلى الجنوب: فالسَّهل السّاحليّ في الغرب، والمرتفعات الجبليّة في الشمال والوسط، والغور في الشَّرق، أمّا هضبة النَّقَب، فهي تمثّل الجزء الجنوبيّ من فِلَسطين، وتتراوحُ ارتفاعات المظاهرِ التَّضاريسية في فِلَسطين بين 1207 م فوق مُستوى سطح البَحر عند قمَّة جبل الجُرمق الذي يُعَد أعلى جبال فلسطين، و 416 متراً تحت مستوى سَطح البحر في منطقة البَحر الميِّت التي تُعد أخفض منطقة في العالَم، وفيما يلي استعراض لهذه الأقسام:

01-السهول:

أ- السهول الساحلية : يمتد السَّهل السّاحليّ الفِلَسطينيّ بشكل موازٍ لساحل البحر المتَوَسِّط، من رأس الناقورة شمالًا إلى رفح جنوبًا بطول 224 كم ، وتبلغ مِساحته 3244 كم^2، ويمتاز بضيقه في الشَّمال؛ بسبب قرب الجبال من ساحل البحر، بينما يزداد اتّساعًا كلما اتجهنا نحو الجنوب، كما يَمتاز بتنوعِ تربتِه، وينقسم السَّهل السّاحليّ إلى ثلاثة أقسام، هي[2]:

- **السَّهل السّاحليّ الشَّماليّ**: يبدأ من رأس الناقورة حتّى جبل الكرمل، وتجري فيه عدد من الأودية والأنهار، منها نهر النّعامين، ونهر المقطّع.

[1] - انظر الملحق 1، ص 80.

[2] -جمال سالم، المرجع السابق ، ص ص: 14-15.

- **السَّهل السّاحليّ الأوسط**: يبدأ من جبل الكرمل حتّى مدينة يافا، ومن الأنهار الّتي تجري فيه نَهْرا الزّرقاء، والعوجا.
- **السَّهل السّاحليّ الجنوبيّ**: يمتدّ من يافا حتّى رفح، ومن الأنهار والأودية الّتي تجري فيه نهر روبين،ووادي غزة

ويتمتع السَّهل السّاحليّ الفِلَسطينيّ بأهَمِّيَّة اقتصاديّة كبيرة، فهو منطقة زراعيّة مهمّة؛ بسبب خصوبة تربته، وتوافر المياه، كما يُعَدّ منطقة تجاريّة وصناعيّة وسياحيّة؛ نظرًا لقربه من البحر المتَوَسِّط. ويوجد فيه عددٌ من المدن، مثل: عكا، ويافا، وعسقلان، وطولكرم، وقلقيلية، وغزّة، ورفح.

ب- السّهول الدّاخليّة: تَكْثُر السهول الداخلية في فلسطين، وتختلف في مِساحتها، من منطقة إلى أخرى، ومن الأمثلة عليها سهول: مرج ابن عامر، والبطّوف، وصانور، وعرّابة، وحوّارة.[1]

02- الجبال والهضاب: تمتدّ المرتفعات الجبليّة في وَسَطِ فِلَسطين من الشَّمال إلى الجنوب، وتنحصر بين السَّهل السّاحليّ غربًا، والأغوار شرقًا، وتسود فيها تربة البحر المتوسط الحمراء(السَّمَقة) ، ويمكن تقسيمها إلى:

أ-جبال الجليل: تمتد من الحدود اللبنانية شمالاً إلى سهل مرج بن عامر جنوباً بطول 60 كم، ومن السهل الساحلي غرباً إلى سهل الحولة شرقاً بطول 40 كم بمساحة قدرها 2083 كيلو متر مربع، وتنقسم جبال الجليل إلى قسمين:

- **الجليل الأعلى في الشمال**: وتتميز بانتشار الكتل الجبلية الصغيرة المبعثرة والتي ترتفع أكثر من 1000متر فوق مستوى سطح البحر، ويبلغ طولها 40 كيلو متراً وعرضها 25 كيلو متر كما تضم أعلى قمة في فلسطين، وهي قمة جبل الجرمق الذي يبلغ ارتفاعها 1208 متر [2]

[1]-جمال سالم ،المرجع السابق ،ص 17.

[2]- مناحم خانا ، جغرافية فلسطين ، الموقع الإلكتروني https://fanack.com/ar/palestine/geography-of-palestine/ أطلع عليه يوم 2025/02/17 على الساعة : 2025/02/13

• **الجليل الأدنى**: يفصلها عن الجليل الأعلى سيل الشاغور ووادي مجد الكروم، وتمتد من الشمال إلى الجنوب بطول عشرة كيلو مترات، ومن الشرق إلى الغرب بطول 50 كم، وهي أقل ارتفاعاً من الجليل الأعلى. وتوجد بها بعض القمم البارزة عن المستوى العام مثل سلسلة جبال الشاغور وقمة جبل سبخ[1].

ب– جبال وهضاب وسط فلسطين والنقب: وتتضمن ما يلي:

• **جبال نابلس والكرمل**: تتضمن كتلة أم الفحم وجبل الكرمل، حيث يأخذ جبل الكرمل شكل مثلث رأسه في الشمال الغربي وقاعدته في الجنوب الشرقي، وأعلى قمة فيه هي قمة عين الحايك، وترتفع 546 م فوق مستوى سطح البحر. فيما تشكّل كتلة أم الفحم ومرتفعات جنين وجبل فقوعة مشارف جبال نابلس التي ترتفع فوق مستوى سطح البحر بأكثر من 800-850م، كما هو الحال في جبل جرزيم الذي يرتفع 881 متراً، وجبل عيبال الذي يرتفع 941 م فوق مستوى سطح البحر، وتتميز هذه الكتلة بكثرة الأودية والسهول مثل وادي عنبتا، ووادي الفارعة، ووادي الشقير، ووادي جنين.

أما أهم السهول في جبال نابلس و الكرمل فهي سهل اللبن، سهل حوارة، سهل عسكر، سهل سالم، سهل صقور، سهل عرابة، سهل قباطية، سهل عجة، سهل الزبابدة، سهل طوباس، سهل البقيعة[2].

• **جبال القدس والخليل**: تمتد هذه السلسلة من شمال مدينة بئر السبع في الجنوب لمسافة 90 كيلو متراً إلى الشمال، ومن السهل الساحلي غرباً إلى البحر الميت شرقاً لمسافة تتراوح بين 40-50 كيلو متر، وتنحدر تدريجياً إلى الغرب؛ بينما تنحدر نحو الشرق بشكل شديد.

وتضم هذه الجبال: جبال الخليل، وأهم القمم فيها خلة بطرخ (1020م)، وجبل حلحول (1013م)، وجبل سعير (1018م)، وجبل بني نعيم (951) وجبل دورا (838م)، وجبال رام الله والبيرة التي يزيد ارتفاعها في الغالب عن 800متر[1].

[1]–جمال سالم ،المرجع السابق ،ص17

[2] –جمال سالم ،المرجع السابق،ص 17

- **هضبة النقب**: هضبة النَّقَب نصف مِساحة فِلَسطين تقريبًا وهي تشغل النِّصف الجنوبيّ منها، متخذةً الشّكل القريب للمثلّث الّذي قاعدته في الجزء الشَّماليّ، ورأسه في خليج العقبة.

تمتاز هضبة النَّقَب بمُناخها الصّحراويّ، وتنوّع مظاهر سطحها الذي يشمل مرتفعات جبلية، ومنخفضات، وأودية، ومِساحات تُغَطّيها الرِّمال، وتقع فيها مدن رئيسة، مثل مدينتي بئر السّبع، ورهط، وعدد كبير من القرى والقبائل البدويّة الّتي تعتمد على تربية الأغنام، مثل: قبائل التّرابين، والتّياها، والعزازمة، والقديرات

3- الوديان والبحيرات والأغوار: تضم ما يلي:

أ- وادي الأردن والأغوار: يشكّل وادي الأردن شريطاً انهدامياً صدعياً، يمتد شمالا من جنوب جبال الشيخ إلى خليج العقبة جنوبا، بطول 420 كيلومتر. ويمثل الجزء الشرقي من تضاريس فلسطين، ويضم: سهل الحولة الذي كان بحيرة قبل تجفيفها بين عامي 1952 و1957، وبحيرة طبرية وضفافها في الشمال، ثم غور الأردن، وهو الجزء الواقع بين بحيرة طبرية والبحر الميت، ويقع قسمه الغربي في الأراضي الفلسطينية؛ بينما يقع الجزء الشرقي في الأراضي الأردنية ثم البحر الميت، فوادي عربة الواقع بين البحر الميت وخليج العقبة، ويمتد مسافة 170 كيلو متراً، بعرض يتراوح بين 7-15 كيلو متر[2].

ب-**البحر الميت** :ينتشر على مساحة 940 كم^2 ، ومياهه أشد ملوحة من أي بحر أو بحيرة أخرى على وجه الأرض، ولا توجد فيه حياة بحرية. ومنطقة غور الأردن والبحر الميت هي أكثر المناطق انخفاضا عن سطح البحر من أي مكان آخر، وتتميز هذه المناطق بحرارتها طوال العام[3]،ويواجه هذا البحر (الذي يُطلَق عليه أيضاً اسم بحيرة لوط) خطر الجفاف في المستقبل القريب، بسبب التبخر الشديد، وقلة المياه الواصلة إليه من نهر الأردن، والاستغلال لمياهه بهدف استخراج الأملاح المتنوعة.

---

[1] -مناحم خانا ، جغرافية فلسطين ، الموقع الإلكتروني https://fanack.com/ar/palestine/geography-of-palestine/ أطلع عليه يوم 2025/02/17 على الساعة : 2025/02/13.

[2] -جمال سالم ،المرجع السابق ،ص21

[3] -محسن محمد صالح ،المرجع السابق ،ص29

وقد كانت مساحة البحر الميت نحو ألف كيلو متر مربع، فيما تبلغ مساحته الحالية 650 كيلو متر مربع، وهي آخذة بالتناقص، ووصل طوله حالياً إلى 56 كيلو متراً بعد أن كان طوله 80 كيلو متر. وأقصى عرض له حوالي 17 كيلو متر[1].

يشكل موقع فلسطين أهمية كبيرة كونه ملتقى ثلاث قارات هي أسيا وإفريقيا وأوروبا ويعدّ جسرا بحريا لوقوعه على البحر الابيض المتوسط ذو المياه المعتدلة في الغرب و البحر الأحمر ذو المياه الدافئة في الجنوب ،وهذا الإلتقاء قد أكسب فلسطين أهمية كبيرة عبر العصور كمعبر يربط الجنوب بالشمال ماجعلها محل أطماع الدول الأجنبية عبر التاريخ .

المبحث الثاني:التطور التاريخي للقضية الفلسطينية

سعت بريطانيا إلى القضاء على ذلك التهميش الذي تعرض له اليهود في جميع أنحاء العالم خاصة ذلك الاضطهاد الذي لقوه في آسيا بخلق وطن قومي لهم ووقع الاختيار في مؤتمر بال بسويسرا على فلسطين متذرعين بحجج تاريخية مزعومة، وهنا بدأت هذه القضية تظهر للوجود خاصة بعد إعلان عن وعد بلفور ومن ثم الانتداب البريطاني لتسهيل هجرة اليهود لفلسطين لينتهي المطاف بإنهاء ذلك الانتداب وإعلان قيام إسرائيل 1948 م وبداية اضطهاد الفلسطينيين في أرضيهم.

المطلب الأول: الانتداب البريطاني على فلسطين 1920 م

تجلى دور دعم بريطانيا للمشروع الصهيوني في فلسطين من خلال ما يعرف باتفاقية "**سايكس بيكو**" 1916 م والتي تهدف إلى تقسيم البلاد العربية وبالتالي إلغاء الوحدة التي كانت تتميز بها هذه الأخيرة في عهد الدولة العثمانية[2]، ثم الإعلان عن "**وعد بلفور**"سنة

[1] مناحم خانا ، جغرافية فلسطين ، الموقع الإلكتروني https://fanack.com/ar/palestine/geography-of-palestine/ أطلع عليه يوم 2025/02/17 على الساعة : 2025/02/13.

[2] الغالي غربي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288 - 1916 ، ط 2 ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 2011 ، ص 26

1917 الذي يسمى نسبة إلى وزير خارجية بريطانيا **جيمس آرثر بلفور arthur james balfour**)[1]، إذ كان الهدف الحقيقي لبريطانيا منه هو الانفراد بالسيطرة على فلسطين، و توضح ذلك من خلال موافقة الحكومة البريطانية على إرسال البعثة الصهيونية لفلسطين[2].

وجاء هذا الوعد تتويجا لمرحلة طويلة من العمل الصهيوني على البراءة الدولية للاستيطان في فلسطين الذي وافق عليه " **ولسن تشرشل – Winston Churchill** " في 17 أكتوبر وأقره مجلس الوزراء في 2 نوفمبر 1917 م بعد مفاوضات بين ممثلي الصهيونية والحكومة البريطانية.

ويعتبر الانتداب نظام سياسي خاص يقوم بإخضاع الشعوب الضعيفة التي ادعى أنها لا تستطيع أن تحكم نفسها بنفسها إلى الشعوب المتمدنة القوية بهدف خدمة مصالح الدول الاستعمارية، مستعملة بذلك ثوب عصبة الأمم الراعي للسلام وحقوق الدول والشعوب الكبيرة والصغيرة بعيدة عن الحرب وهذا ما جيء به في مقدمة عصبة الأمم أن إعلان الانتداب البريطاني على فلسطين جاء نتيجة خدمة الوطن القومي لليهود في فلسطين، وتنفيذا لوعد بلفور وتغيير التكوين السكاني لصالح اليهود من خلال فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين[3].

وصدر صك هذا الانتداب على فلسطين في 18 جوان 1919 في عصبة الأمم، حيث صيغت نصوصه ومواده من طرف "**بنيامين كوهين**" ومما جاء فيه: "أن دول الحلفاء قد وقعت على وعد بلفور و على أن تكون الدول المنتدبة مسؤولة على التنفيذ اعترافا بالصلة التاريخية التي

---

[1] جيمس آرثر بلفور: هو رئيس وزراء بريطانيا خلفا لعمه عام 1902 م نشأ في أحضان التقاليد البر وتيستا نية الاسكتلندية، كان يرى بأن التاريخ أداه لتنفيذ هدف سماوي ارتبط ارتباط وثيق بالصهيونية وهو صاحب وعد بلفور الذي يعتبر تجسيدا للصهيونية السياسية ، ينظر :ريجينا شريف، الصهيونية عبر اليهودية جذورها في التاريخ العربي، تر: أحمد عبد الله عبد العزيز ،(د ط) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، 1985 ،ص 155

[2] كامل محمود خلة، فلسطين والانتداب البريطاني 1922 – 1939 ، ط 2 ، مركز الأبحاث، بيروت، 1982 ، ص 82

[3] أحمد غنيم، وعد بلفور بين عصبة الأمم وصك الانتداب، قضايا اسرائيلية ، ع 65 ، (د س)، ص 12

تربط الشعب اليهودي بفلسطين"، وقد اختيرت[1] الحكومة البريطانية من قبل عصبة الأمم لتكون الدولة المنتدبة على فلسطين، حيث وضع هذا القرار حيز التنفيذ في 29 سبتمبر 1923 م إذ أخذت الحكومة البريطانية على عاتقها مسؤولية تهيئة الظروف السياسية والاقتصادية التي تضمن تأسيس الوطن القومي لليهود في فلسطين، بناء على هذا أعلنت بريطانيا في 1920م إنهاء الإدارة العسكرية في فلسطين وقيام إدارة مدنية وعينت أول مندوب سامي لهذا العرض "**هربرت صموئيل**"[2].

في هذا الإطار لا يمكن اعتبار نظام صك الانتداب مجرد وثيقة شكلية منحت بريطانيا "الوجود الشرعي الدولي" في فلسطين ،فقد وضع هذا النظام الأسس لإقامة ما وصفته لجنة "**بيل**" الملكية البريطانية التي حققت في فلسطين عام 1937 م حكومة داخل حكومة [3]، وقد حدد مجلس العصبة شروط الانتداب ونصوصه فيما يلي[4]:

المادة الأولى: يكون للدولة المنتدبة السلطة التامة في التشريع والإدارة باستثناء ما يكون قد قيد في نص هذا الصك.

المادة الثانية: تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن وضع البلاد في الأحوال السياسية والإدارية والاقتصادية تضمن إنشاء الوطن القومي اليهودي وفقا لما جاء في بيانه في ديباجة هذا الصك، وترقية مؤسسات الحكم الذاتي، وتكون مسؤولة أيضا عن صياغة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بقطع النظر عن الجنس و الدين.

---

[1] خولة صامري، الصراع العربي الاسرائيلي حرب 1948 م أنموذجا، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2012 – 2013 ، ص 21.

[2] المرجع السابق ، ص 21.

[3]– الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، من الانتداب إلى النكبة 1919 – 1948 ، الدار الوطنية الجديدة، دمشق ، 2017 ، ص 59 .

[4]– عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط 10 ، دار الفاس، عمان، (د ت)، ص 344

المادة الثالثة: يترتب على الدولة المنتدبة أن تعمل على تشجيع الاستغلال المحلي على قدر ما تسمح به الظروف.

المادة الرابعة: يعترف بوكالة يهودية ملائمة كهيئة عمومية لإسداء المشورة إلى إدارة فلسطين، والتعاون معها في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك من الأمور التي قد تؤثر في إنشاء الوطن القومي اليهودي.

المادة الخامسة: تكون من الدولة المنتدبة عدم التنازل على أي جزء من أراضي فلسطين ،إلى حكومة دولة أجنبية، وعدم تأجيره إلى تلك الحكومة أو وضعه تحت تصرفها بأية صورة أخرى.

ودامت فترة الانتداب البريطاني على فلسطين حوالي 30 سنة ازدادت من خلالها الهجرة اليهودية إلى فلسطين بشكل كبير [1]، أي بمقدار 12 ضعف خلال فترة الانتداب بعد أن كان فيها 56 ألف يهودي ،فبريطانيا كانت بحاجة إلى لتبرير فكرة الوطن القومي اليهودي من أجل إقامة دولة صهيونية ،ولن يتسنى لهم ذلك إلا من خلال فتح باب الهجرة، فالنظر إلى مواد هذا الصك تجعلنا ندرك أن البريطانيين بذلوا جل محاولاتهم ليضعوا حقوق العرب خدمة لمصلحة اليهود[2].

من هنا حاول الفلسطينيون عرقلة مشروع الصك بكل السبل السياسية الممكنة فأضربوا عن العمل يومي 13 و14 تموز 1922م، وقدموا احتجاجات رسمية وشعبية أمام الجهات المسؤولة، كما طلبوا من حكام وملوك الأمة الإسلامية بالتدخل لعرقلة هذا المشروع [3].

[1]- رجا عبد الحميد عرابي، سفر التاريخ اليهودي، ط 2 ، الأوائل، سورية، 2006 ، ص 646

[2]-مايسة سليماني ليلى لشهب، الانتداب البريطاني على فلسطين وآثاره (1920 - 1919)، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف ، 2019 - 2020 ، ص 32

[3]- أسامة محمد أبو نحل، ناجي صادق شراب، قراءة في أهم مواد صك الانتداب البريطاني على فلسطين، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأزهر، فلسطين، (د ت) ، ص 11

فقد اعتبر العرب اليهود "دخلاء" بينما في ذلك الوقت اعتبروا أنفسهم محليين يحاولون التمسك بموقفهم، فقد أيقنوا أن ما يقوم به البريطانيون والصهاينة هو محاولة تجريدهم مما هو ملك لهم منذ مئات السنين، فكلما حاول الصهاينة الدخول تصدوا لهم العرب لإبقائهم خارجا، فتفاقم النزاع السياسي سنة 1922م حيث بدا البريطانيون يخططون "لمشروع حكومة" لفلسطين، الذي قابله العرب بالرفض باعتبار أنه لا يعطي للشعب الفلسطيني السيطرة التامة على شؤونه، فقد كان في حسابهم إقامة "مجلس تشريعي" ليقدم المشورة للإدارة البريطانية حول مسائل القانون وتحديد السياسات لكن دون جدوى، وهكذا بقي صك الانتداب وثيقة مروعة إذ أعطى للمؤامرات الصهيونية البريطانية الممثلة في وعد بلفور شرعية دولية في قرار عصبة الأمم[1].

المطلب الثاني: تقسيم فلسطين 1947 و ردود الفعل العربية و الإسلامية

قدم مجلس الشيوخ الأمريكي ومجلس النواب مذكرة سنة 1947 م إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية طالبون، فيها بمساعدة اليهود على إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وفي فبراير 1947 م ظهرت بريطانيا بالعجز التام عن إيجاد حل لمشكلة فلسطين[2].

01- قرار تقسيم فلسطين: بعد الضغوطات التي واجهت بريطانيا من قبل السلطات الأمريكية أحالت القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة [1] ، والتي أقرت [2] في اجتماع

[1]- واصف عبوشي، فلسطين قبل الضياع قراءة جديدة في المصادر البريطانية، تر: علي الحرباوي، (د ط)، رياض الريس، فلسطين، 1949 ، ص 48

[2] عبد الله التل، خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، (د ط)، دار القلم، (د م)، 1964 ، ص 284

طارئ في أيار 1947 م تشكيل لجنة دولية قررت هذه اللجنة بأكثريتها تقسيم فلسطين الى الدولتين عربية ويهودية،[3] أما أقليتها فدعت إلى إقامة دولة ثنائية القومية اتحادية الشكل.

وأقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرار التقسيم (181) في 29 نوفمبر 1947[4]، والذي بموجبه منح اليهود الحق في دولة مساحتها 54% من أرض فلسطين الذين لم يكونوا يملكون سوى 6 % و أصبح العرب الذين كانوا يملكون 93.3 % من أرض فلسطين دولة مساحتها 45 % واستثنى هذا القرار مدينة القدس 1 % من مساحة فلسطين[5].

وبعد أن درست الجمعية العامة في دورتها الثانية قدمت بالإجماع عما تحتوي خطة تقسيم فلسطين، مع اتحاد اقتصادي حيث كان التقسيم الترابي قد رسم بطريقة تجعل من الأراضي الثلاثة لا يمكنها العيش اقتصاديا وسياسيا إلا بالتعاون الوثيق فيما بينهما[6] ، وقد جاء في خطة قرار التقسيم أربعة أجزاء هي:

أ-الجزء الأول: جاء فيه إنهاء الانتداب على فلسطين في أقرب وقت ممكن ولا يتأخر عن آب 1948[7].

---

[1]-هيئة الأمم المتحدة: هي عبارة عن تنظيم دولي بديل أكثر فعالية من عصبة الأمم نشأت بعد الحرب العالمية الثانية بهدف تحقيق الأمن والسلم الدولي وتضمنت ميثاق متكاملا من الناحية النظرية ينظر: هشام بحوش، ضرورة اصلاح منظمة الأمم المتحدة، مجلة مداولات سياسية، م ،ع 2 ، جامعة محمد الشريف مساعدة، سوق أهراس، 2021 ، ص 113

[2] -أحمد ابراهيم خليل، اسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، (د ط)، دار العهد الجديد، مكتبة الوعي العربي، (د ت)، ص35.

[3] - أنظر الملحق رقم 02، ص 91.

[4]-عيسى القدومي، فلسطين وأكذوبة بيع الأرض، بيت المقدس، قبرص، 2004 ، ص 56.

[5]- المرجع السابق ، ص 56.

[6]- هنري لورانس، اللعبة الكبرى المشرق العربي والأطماع الدولية، تر: عبد الحكيم الأربد، ط 2، دار الجماهرية، مصراتة، (دت)، ص 103.

[7]- منير الهور، طارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947 - 8319 ، دار الجليل، عمان، 1947-1983 ، ص 62 .

ب- الجزء الثاني: يجب إخلاء القوات المسلحة التابعة لسلطة الانتداب بالتدريج والانسحاب في أقرب وقت، وألا يتأخر عن آب 1948م، يجب إعلام السلطة المنتدبة في وقت مبكر عن انتهاء الانتداب والجلاء من المنطقة[1].

ت- الجزء الثالث : تنشأ في فلسطين دولتان مستقلتان عربية وأخرى يهودية والحكم الدولي الخاص بمدينة القدس، ويتم هذا بعد شهرين من إتمام جلاء القوات المسلحة البريطانية، على أن يتأخر ذلك عن 1 تشرين الأول 1947.

ث- الجزء الرابع: تكون الفترة ما بين تبني الجمعية العامة توصيتها بشأن مسألة فلسطين وتوطيد استقلال الدولتين العربية واليهودية فترة انتقالية[2].

وتصبح الدولة العربية المستقلة والدولة اليهودية المستقلة والنظام الدولي الخاص لمدينة القدس، المنصوص عنه في الجزء الثالث من هذا المخطط[3].

02-الموقف من قرار التقسيم (181): رفضت لجنة فلسطين مشروع الدولة المتحدة وأيدت مشروع التقسيم في 25 تشرين الثاني 1947م، حيث فاز هذا المشروع بالأغلبية 25 صوتا ضد ثلاثة عشر صوتا ،وامتنع سبعة عشر مندوبا عن تصويت وتغيب مندوبان، ومن الدول التي رفضت نجد سوريا، مصر، العراق، لبنان، اليمن، المملكة العربية السعودية، الهند، باكستان، أفغانستان، إيران، تركيا، سيام، كوبا[4].

وعقدت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في الأسبوع الثاني من شهر كانون الأول 1947 م اجتماعات في القاهرة حضرها رؤساء الحكومات العربية تبين من خلالها مواقفهم الرافضة والمستنكرة لقرار التقسيم والتخطيط على وجوب استخدام سلاح النفط إضافة على قرار

[1]- المرجع السابق ، ص 62.

[2]- قرار التقسيم رقم 181.70 لتقسيم فلسطين، قضايا اسرائيلية، ع 67 ، ص 56 .

[3]- قرار تقسيم فلسطين واتفاقيات أخرى ، ط 3 ، الركن، بيروت، 1989 ، ص 33 .

[4]- عارف العارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود (1948 - 1952)، ج 1 ، (د ط) ، دار الهدى ، (د م) (د ت)، ص 24.

العمل على إحباط التقسيم والاحتفاظ بفلسطين عربية موحدة[1]، وتقديم مساعدات للشعب الفلسطيني وتزويدهم بالأسلحة لحماية أنفسهم وتشكيل فرق جهادية عربية، أهمها جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي، وجمعية إنقاذ فلسطين التي تشكلت في العراق والتي بلغ عدد المتطوعين فيها نحو 1500 متطوع[2].

ولم تقتصر ردود الفعل على المواقف العربية فقط بل برزت ردود فعل شعبية وبدت عدة مظاهرات واحتجاجات في كثير من الدول، إضافة إلى تظاهرات الطلابية في بيروت، ندد فيها بالسياسة الأمريكية وتحطيم نوافذ الإدارات الرسمية في شركة التابلاين[3].

إثر صدور هذا القرار وقعت خلافات داخل الإدارة الأمريكية حيث قامت هذه الأخيرة بحظر تصدير السلاح الأمريكي للعرب واليهود، وفي نفس الوقت قام اليهود بحث الإدارة الأمريكية على رفع حظرها عن السلاح حيث تلقى الرئيس الأمريكي **ترومان** عدة خطابات منها خطاب **وايزمان** في 09 ديسمبر 1947م، أشار فيه إلى احتياج اليهود إلى السلاح الأمريكي وأجابه ترومان في 12 أكتوبر 1947م أن اليهود يجب أن يتمتعوا بضبط النفس خلال هذه الفترة[4].

المطلب الثالث: قيام دولة إسرائيل 1948 م

لم تكن الظروف الداخلية في فلسطين ولا أوضاع اليهود مهيأة لإعلان قيام الدولة الإسرائيلية، ولم تكن مستعدة لتقبل ذلك ففي داخل فلسطين حيث كان زعماء (**المباي**) مترددين، وعبرت الولايات المتحدة الأمريكية عن رأيها بشأن التقسيم في اجتماعات (**ليك**

[1] – أحمد محمد جعفر، دراسة نقدية في قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة 181 – 194 المتعلقة بالقضية الفلسطينية، مذكرة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2008، ص 35.

[2] – منير عايش وآخرون، جغرافية فلسطين وتاريخها الحديث والمعاصر، ج 3 ، مركز المناهج، فلسطين، 2020، ص 122.

[3] – حسان علاق، فلسطين في المؤتمرات العربية والدولية وثائق و مراسلات تنشر للمرة الأولى،(د ط) ، منشورات مجدلاوي، الأردن، 1998، ص 192.

[4] –وائل محمد محمود الرفاعي، الانقسامات داخل الإدارة الأمريكية تجاه قرار تقسيم فلسطين 1987، مجلة كلية الآداب، جامعة بور سعيد، 2016، ص، ص 69-70.

سكس) ووقعت خلافات بين الصهيونيين الأمريكيين والحكومة الأمريكية وتلقى **بن غريون** ضغوطات كبيرة حتى لا يعلن قيام الدولة، لذا فقد كانت الآراء سواء بالنسبة لفلسطين أو الجماعات الصهيونية في الولايات المتحدة الأمريكية كلها ضد إعلان قيام الدولة[1].

01-قرار قيام إسرائيل: بعد مداولات لمدة عشرة أيام قررت اللجنة التنفيذية الصهيونية بأغلبية 40 صوت ومعارضة 10 أصوات من (**مبام**)[2] و8 أصوات من التنفيذيين، والوصول إلى القرار التالي "**حزمنا أمرنا استنادا إلى رأي الحركة الصهيونية العالمية وبموافقة كل شعب إسرائيل مع انتهاء سلطة حكومة الإنتداب المخيبة للآمال وانتهاء حكم الأغراب سينهض الشعب في أرضه ويحقق استقلاله في الوطن**"، وتم الإعلان يوم الخميس 15 ماي 1948م سقوط استسلام عرب يافا لقوات **الهاغانا** [3] وإنهاء الانتداب البريطاني بفلسطين[4].

وتم إقرار من هاته اللحظة إنهاء الانتداب البريطاني وقيام سلطات الدولة المنتخبة والنظامية طبقا للدستور الذي يوضع من قبل المجلس التأسيسي المنتخب قبل مطلع تشرين الأول 1948م، ويقوم مجلس الشعب محل مجلس الدولة المؤقت ويصبح هيئة تنفيذية للدولة اليهودية وبهذا تصبح الهجرة مفتوحة أمام اليهود لجمع الشتات داخل دولة إسرائيل، وهذه الأخيرة

---

[1]- نفسه، ص ص 69-70.

[2]- (مبام) هو اختصار لحزب العمال الموحد، ويعرف بالاختصار العبري بـ (مبام) ، حزب سياسي تأسس عام 1948، من أهم مبادئه كما هو وارد في بيانه التأسيسي: السعي من اجل اقامة دولة اسرائيل المؤسسة على قواعد وثوابت الديمقراطية والمساواة لكل المواطنين بدون فرق في الدين والقومية والجنس. والعمل من اجل تثبيت أُسس العدل الاجتماعي والاخوة والسلام العادل بين اسرائيل وجاراتها والتعاون والتضامن مع الشعوب.

[3]- الهاغناه: اقترح جابوتنسكي في 24 شباط 1920 تأسيس تنظيم له مصادره الخاصة ليكون ناجحا بذريعة الدفاع عن المستوطنات، فقد بدأت فكرة الهاغاناة عند جابوتنسي عندما فشل في إبقاء الفيلق اليهودي الذي انشأه في الحرب العالمية الأولى 1914 – 1918م وبدأ ينظم وحدة دفاع عن نفسه وتسليحها وتعريبها بدأت العمل بشكل عفوي، ثم قام جابوتنسكي وموشيه سمي لتسكي بتشكيل وحدات أواخر عام 1919 م، فانظم الارتجاليون لهم .ينظر :إيمان روبين عبد العزيز أبو خضورة، المنظمات العسكرية والأمنية الصهيونية في فلسطين(1897 - 1920)، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والأثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 2012 ، ص 276

[4]- وائل محمد محمود الرفاعي، المرجع السابق، ص ص 69-70

مستعدة لتعاون مع مؤسسات وممثلي الأمم المتحدة لتنفيذ قرار الجمعية العمومية الصادرة بتاريخ 29 تشرين الثاني 1947م لإنشاء اتحاد اقتصادي شمل أرض إسرائيل برمتها[1].

02-رد الفعل العربي على قرار قيام دولة إسرائيل: اثر إعلان قرار التقسيم 1947م هذا ما أثار احتجاج العرب وقيام ثورة كبيرة دامت لمدة طويلة وقرر العرب دخول فلسطين بقيادة الملك عبد الله ملك الأردن لتتوالى الأحداث بعدها وتعلن إنجلترا إنهاء الوصاية البريطانية على فلسطين في 15 ماي 1945م وتسليمها لليهود[2].

منذ إعلان قيام الدولة اليهودية إلى غاية 1967م تمكنت إسرائيل من الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية وزيادة توافد المهاجرين اليهود، وتمكنت إسرائيل امتلاك 77,7 % من مساحة فلسطين وطرد معظم سكان الفلسطينيين وارتكاب العديد من المذابح والمجازر وتدمير القرى[3].

03-رد فعل دولة تركيا على قرار قيام دولة إسرائيل: فور الإعلان عن قيام إسرائيل كانت تركيا من الدول المسلمة هي الدولة الأولى السباقة في اعترافها بإسرائيل سنة 1949م، وعينت قنصل لها في تركيا وقد بررت ذلك بغايتها في كسب حليف شرق أوسطي لمواجهة الخطر الشيوعي بعد الحرب العالمية الثانية، لتعترف بها قانونيا سنة 1950م، وتبادل البعثات الدبلوماسية بينهما واستقبلت ملحق عسكري لإسرائيل في أنقرة وعقب هذا الاعتراف سمحت تركيا بهجرة اليهود الأتراك إلى فلسطين[4].

---

[1]- مرداخاي ناثور، الصهيونية في مائة عام 1897 - 1996، تر: عمرو زكريا خليل ، (د د)، (د ط)، (د م)، (د س)، ص 332.

[2]- إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي، إدارة الصراعات والأزمات الدولية نظرة مقارنة لإدارة الصراع العربي الاسرائيلي في مرحلة مختلفة، (د ط)، (د د)، (د م)، (د ت)، ص 130.

[3]- فوزي الجدية، حرب عام 1948 وقيام دولة إسرائيل، قسم الجغرافية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2008، ص 8.

[4]- هدى درويش، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة اليهود الدونمة 1648م إلى نهاية القرن العشرين، ج 1، (د ط)، دار القلم، دمشق، 2002، ص 129.

الفصل الأول: القضية الفلسطينية من الانتداب إلى الاحتلال الصهيوني

الفصل الثاني: موقف الإصلاحيين الثعالبي و الفاضل بن عاشور من القضية الفلسطينية

- ✓ المبحث الأول: التعريف بعبد العزيز الثعالبي وفاضل بن عاشور
- ✓ المبحث الثاني: مساهماتهما وموقفهما من القضية الفلسطينية

عرفت الساحة الدولية أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين عدة تحولات سياسية ابرزها ظهور الاحتلال الغربي ،مما ادى الى مقاومات شعبية وسياسية ،خاصة في تونس التي واجه شعبها الاحتلال الفرنسي اولا بالسلاح ثم عبر النظال السياسي، وقد ساهمت شخصيات تونسية بارزة في دعم القضايا العربية والاسلامية وعلى راسها القضية الفلسطينية ،مثل الشيخ عبد العزيز الثعالبي والشيخ فاضل بن عاشور.

سنحاول خلال هذا الفصل تسليط الضوء في المبحث الأول على المنارتين التونسيتين ألا وهما الشيخين عبد العزيز الثعالبي وفاضل بن عاشور، والمبحث الثاني سنتطرق فيه الى مساهماتهما في الدفاع عن القضية الفليسطينية.

المبحث الأول: التعريف بعبد العزيز الثعالبي و فاضل بن عاشور

المطلب الأول: عبد العزيز الثعالبي

01- المولد والنشأة: ولد عبد العزيز الثعالبي[1] في مدينة تونس عام 1874م، في أسرة علم وفضل ودين وجهاد، ومن أصل جزائري، وترعرع في رعاية جدّه المجاهد عبد الرحمن الثعالبي الذي كان من مجاهدي الجزائر ووجهائها المعروفين، فتخلّق بأخلاقه، وتشبّع بمبادئه وقيمه[2].

كان جدّه عبد الرحمن هذا، مجاهداً قاتل الفرنسيين الذين غزوا بلاده (الجزائر) عام 1830 وأصيب برصاصات في صدره، وكان له دور متميز، رفض إغراءات كبيرة حاول الاستعمار إغراءه بها، كمنصب قاضي القضاة، ثم غادر مدينته (بجاية) إلى تونس، مخلّفاً وراءه بيته وعقاره وأمتعته، وأهله، ووطنه.

حفظ عبد العزيز القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، ودرس النحو والعقائد والآداب قبل أن يلتحق بجامع الزيتونة الذي أمضى فيه سبع سنين، وتخرج فيه عام 1896 حاملاً شهادة التطويع، ثم تابع دراسته العليا في المدرسة الخلدونية، ثم انخرط في الحياة العامة، مجاهداً في سبيل الله، كما كان جدّه، ومن أجل النهوض بشعبه التونسي، وأمته العربية والإسلامية[3].

02-دوره في الحركة الوطنية في تونس: غزت فرنسا البلاد التونسية بجيش قوامه ثلاثون ألف مقاتل، واضطر (الباي) إلى توقيع معاهدة (**باردو**) وإعلان الحماية على البلاد في 1881/5/12 ولم يعترف الشعب التونسي بهذه المعاهدة، وهبّ يدافع عن أرضه وكرامته، ولكن الوحشية الفرنسية نكلت به، حتى اضطرته إلى الهدوء لأنه لم يعد من الممكن له الاستمرار في المقاومة المسلحة، ولكن إلقاء السلاح لا يعني السكوت على الاحتلال والاستعمار، فقد اضطلع عدد من العلماء والمفكرين والسياسيين بالعمل السياسي لتحرير الوطن، وكان في طليعة هؤلاء الشيخ عبد العزيز الثعالبي رحمه الله، وقد اعتبره الفرنسيون عدوهم الأول، وحق لهم ذلك،

[1] - أنظر الملحق رقم 03، ص 92.

[2] - عادل نويهض ، معجم أعلام الجزائر . مؤسسة نويهض للثقافة، بيروت، 1980م، ص 90.

[3] https://qii.media/s/47/763

فمنذ أن غزا الفرنسيون بلاده التونسية وهو في السابعة من عمره، لم تفارق ذاكرته ما وعته من ذلك الاجتياح الهمجي لجيش همجي جاء ليحتل ويقتل وينهب ويغتصب ويعتدي على الحرمات، كما لم ينس الدموع التي غسلت لحية جده المجاهد، وهو يرى الفرنسيين يحتلون تونس، بعد أن احتلوا بلده الجزائر.

وذات مساء، وبينما كان الثعالبي يؤكد لبعض أصدقائه :" **إننا في تونس لسنا شعبا منعزلا، بل نحن جزء من أمة كبيرة، أمة عظيمة** "، داهم جنود الاحتلال البشعون الرجل وأصدقاءه، في مكتب الجريدة، وصادروا كل ما فيها، وأغلقوها، واعتقلوا الثعالبي وأبلغوه قرار الحاكم العام بنفيه إلى خارج وطنه، إلى مصر.[1]

ضحك الثعالبي وهو يقول:" **لو أن هذا الحاكم الأجنبي الأبله قرأ التاريخ، وعرف من نحن، لما قرر إبعادي إلى مصر، فهو يظن أنه يقهرني إذ يبعدني عن وطني، لكن مصر مثل تونس، وطني.**" نحن نكتب التاريخ وليس القصص وينبغي التوجه مباشرة لسرد الوقائع التاريخية بموضوعية وحيادية.

كان ذلك في عام 1901م، أي عندما بلغ الثعالبي سن السابعة والعشرين، كان شابًا شجاعًا عنيدًا، لا يمكن أن يصبر على " الإبعاد "، فها هو يعود متخفيا، بعد أقل من سنة، إلى تونس، ويقول لأصدقائه في المخبأ: أتدرون ما اكتشفت في مصر؟ اكتشفت أنّنا لسنا وحدنا الذين نعاني مما نحن فيه، فعندنا في تونس ظلم مماثل، متجسد بالاستعمار الفرنسي، وعندنا في مصر ظلم مماثل متجسد بالاستعمار البريطاني، وفي القاهرة وفي أروقة الجامع الأزهر، لقيت إخوانا عربًا، من سائر أقطار وطننا الكبير، ومن أحاديثهم صرت واثقا كل الثقة، من صحة نظريتي التي كنت أحدثكم عنها قبل سفري.

وبعد انتهاء الحرب، استأنف الثعالبي نضاله، وسافر إلى باريس لشرح قضية بلاده، فقبضوا عليه سنة 1920م، وكانوا ينقلونه بين السجون التونسية والفرنسية، ثم نفوه من البلاد في آب 1923م.

[1]-عبد المجيد كريم، العمل الوطني من الإحتلال إلى الحرب العالمية الأولى، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة 1964-1991م، المعهد الألعلى لتاريخ الحرجة الوطنية ، جامعة منومبة، تونس، 2008م، ص 98.

آمن الثعالبي بالعمل الجماعي، فانخرط في حركة تونس الفتاة التي تدعو إلى الاستقلال التام قبل كل شيء، ثم رأس حزب الدستور الذي اتخذ خطة أقل وضوحاً من خطة حركة تونس الفتاة، ولعل قادة حزب الدستور كانوا يرون في هذا الغموض سياسة تسمح لهم بقطع مرحلة يتمكنون فيها من إعادة تنظيم أنفسهم[1].

كانت حياته السياسية حافلة بالأحداث الجسام، فقد أمضى زهرة عمره بين السجون والمنافي والمحاكم والرحلات. فهذا الصحفي الشاب الفقير، ذو النظارة الطبية، كان يشكّل حالة قلقٍ مستمرٍ للاستعمار الفرنسي، إذ كان يعرف كيف ينبه الشعب إلى ألاعيب المستعمر، ويفضح مؤامراته، ويدعو إلى مقاومة هذا المحتل الأجنبي، وطرده من البلاد، ويوقظ الناس إلى حقهم في الحياة الحرة، فنحن شعب حي، وأحفاد أجداد عظام[2].

03- اهتماماته بقضايا الأمة: لم يكن الشيخ عبد العزيز الثعالبي ليحصر همه فيما يعانيه وطنه المستعمر فحسب بل كان يحمل هموم الأمة على عاتقه، ويسعى إلى تقديم ما يستطيع من عون ومساعدة لها، وهذا ما نلمسه في حياته ورحلاته ومذكراته وكتاباته ومحاضراته.

فقد وقف إلى جانب ليبيا في حربها مع الاستعمار الإيطالي عام 1911، ودعا إلى تقديم العون العسكري والمادي والمعنوي لها.

كان الثعالبي حاضرًا في قلوب العظماء كما الجماهير، فهذا الرصافي يتحدث عنه فيقول: "إنه أعظم خطيب عرفته أمتنا العربية"، وهذا الشيخ عز الدين القسام يخبر عنه قائلاً: "**إنه بطل عربي عظيم، شارك معنا في الثورة المسلحة**".

ويطري عليه أهل دمشق فيقولون:" الثعالبي ربط حركة التحرر الوطني في أقطار المغرب العربي بحركة التحرر الوطني في أقطار المشرق العربي". ويتحدث عنه أهل بيروت فيقولون:" **إنه طاقة فكرية رائعة، وأن ذهنه الوقاد منارة وطنية، سواء في مقالاته أو خطاباته أو أحاديثه الشيقة المفيدة** ".

---

[1]- العلاني عبد الحميد، لم يناموا على الذل، شهادات لعدد من المناضلين والمقاومين من تونس والقيروان والساحل، شركة فنون الرسم والنشر والصحافة، تونس 2006 ، ص 10.

[2]- مسعودة مسعود بو الخضرة، الشيخ عبد العزيز الثعالبي ودوره في الإصلاح الإسلامي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1995 ، ص 33-34.

ويروي عنه أهل القدس، فيقولون:" الثعالبي دلنا على طريق قويم، كفيل بالتصدي للمخططات الصهيونية وإفشالها، وكم نصحنا بأن ننشئ في القدس جامعة إسلامية على غرار الجامع الأزهر بمصر". وأهل القاهرة يقولون:" الثعالبي أول من نادى بتوحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج". أما أهل تونس فيقولون:" غاب عنا الثعالبي في رحلته الأخيرة ثلاث عشرة سنة، حتى عاد إلينا على الرغم من أنف المستعمرين، في عام 1936، عاد إلينا ليدعو إلى توحيد أقطار المغرب كخطوة لتوحيد المغرب كله مع بقية الأقطار العربية، فكان جواب المستعمرين أن أرسلوا إليه من أطلق عليه النار غدرا".[1]

ولعل من أهم الشهادات بحقه شهادة رئيس المؤتمر الإسلامي بالقدس مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني:" ... ولا نغالي إذ قلنا أنّ حضرته أصبح بفضل علمه الغزير، وجهاده المنقطع النظير، رجل المسلمين والعرب لا رجل تونس الخضراء وحدها، وإنّ لسيادته الفضل الأكبر في القيام بمهمّة هذا المؤتمر الإسلامي العامّ، الّذي نرجو منه الخير لهذه البقاع المشرّفة في هذه البلاد المقدّسة للمسلمين عامّة".[2]

04-مؤلفاته: كان الشيخ عبد العزيز خطيباً مفوّهاً، ومحاضراً مجيداً، وكاتباً صحفياً بارعاً، وعالماً ومؤلفاً قديراً، اتخذ من لسانه وقلمه أداتين رائعتين لكفاحه السياسي والاجتماعي والفكري، فكتب وألف، وكان لكتاباته آثارها البالغة في نفوس من تصل إليه من التونسيين والعرب والمسلمين والفرنسيين سواهم.

ألف كتاب (روح القرآن) ثم ترجمه إلى اللغة الفرنسية، ودعا فيه إلى الإصلاح والبعد عن الجمود، فأحدث ضجة بين أبناء الجالية الفرنسية في تونس/ له من الكتب:

- تاريخ شمال أفريقيا.
- فلسفة التشريع الإسلامي.
- تاريخ التشريع الإسلامي.

[1] -صالح خرفي،عبد العزيز الثعالبي من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب، ط1، دار الغرب الإسلامي 1995م، ص 227-228.

[2] -عبد العزيز الثعالبي ، تونس الشهيدة ، ط1، دار القدس ، بيروت ، 1975 ، ص 17.

- مذكراته. في خمسة أجزاء.
- معجزات محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نُشر منهما جزءان فقط.
- محاضراته في جامعة آل البيت ببغداد. وقد نشرت في الصحف البغدادية.
- تونس الشهيدة، طبعه في باريس باللغة الفرنسية بعد الحرب العالمية الأولى، فاتهمه الفرنسيون بالتآمر على أمن الدولة الفرنسية، واعتقلوه ثم نقلوه إلى السجن في تونس، ومكث فيه تسعة أشهر ثم أخلوا سبيله عام 1920.
- الكلمة الحاسمة، وهو كتيب كان من آخر ما كتبه مبينا فيه أسباب الفشل لمحاولة التوحيد بين الحزبين عام 1937.
- خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس.
- الرحلة اليمنية 12 أغسطس- 17 اكتوبر 1924.[1]

05- وفاته : توفي المجاهد الكبير عام 1944 بعد حياة حافلة بالكفاح، لم يذق خلالها طعم الراحة، ولا سعى لمصلحة ذاتية، فقد أعطى كل ما وهبه الله لقضية بلاده، ولقضايا العرب والمسلمين، وقد كان كما وصفه العلامة محمد الفاضل بن عاشور:" **برز الثعالبي بعد الحرب العالمية الأولى، بما له من ماضٍ في السياسة والإصلاح الديني والاجتماعي، فبعث معالم النهضة التونسية، وأصبح زعيم النهضة المطلق**". رحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثاني: محمد الفاضل ابن عاشور

01-المولد والنشأة: هو الشيخ محمد الفاضل[2] بن محمد الطاهر بن الصادق عاشور أحد أهم علماء الدين الذين عرفتهم تونس في القرن العشرين، ولد في مدينة تونس يوم 2 شوال سنة 1327 هـ/ 16 أكتوبر /تشرين الأول 1909.

[1]- محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، تقديم الشيخ عمر الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع - الكويت، ط 2، 1989، ص 207.

[2] - انظر الملحق رقم 04، ص 93.

تربّى في أحد بيوت الدين والعلم، إذ كان والده محمد الطاهر بن عاشور من كبار العلماء في تونس، كما أن صهره والد زوجته هو محمد عبد العزيز جعيط الذي سبقه في منصب مفتي الجمهورية. وفي هذا المعنى يقول الفاضل بن عاشور:" ونشأت في ظل العناية المتوافرة من والدتي ووالدتها ووالدها ووالدي ووالده ووالدته والجدة الكبرى جدة والدي ووالدتي معا"، بدأ حفظ القرآن الكريم وهو في الثالثة من عمره، ليتمه عندما بلغ التاسعة. كما حفظ بعض المتون في النحو ثم تعلم اللغة الفرنسية على أيدي معلمين خصوصيين. وفي سنة 1922 بدأ دراسة مبادئ القراءات والتوحيد والفقه والنحو، ثم التحق بجامع الزيتونة إلى أن أحرز على شهادة التطويع سنة 1347هـ/1928م.[1]

كما التحق الشيخ محمد الفاضل بن عاشور للتدريس بجامع الزيتونة سنة 1351هـ/1932م، وارتقى سلّم المدرسين الزيتونيين حتى سُمّي مدرسا من الطبقة الأولى. وبعد الاستقلال (1956)، أُسندت إليه عمادة كلية الشريعة وأصول الدين في جامعة الزيتونة سنة 1381هـ/1961م واستمر بها إلى وفاته، كما اشتغل مناصب قضائية من بينها أنه ترأّس المحكمة الشرعية العليا، وتولّى منصب مفتي الجمهورية التونسية.

02-نشاطاته: سار محمد الفاضل على هذا نفس مسار والد من خلال الجمع بين التكوين العلمي الأصيل الذي تلقاه من جامع الزيتونة، والانفتاح على التكوين الحديث من خلال انخراطه في الدراسة بالمدرسة العليا للغة والآداب بتونس، وانتسابه إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر. وبذلك تيسرت له المشاركة في علوم الشريعة واللغة والآداب والتاريخ والحضارة.

وهذا التكوين المزدوج بين العلوم الشرعية والعلوم الأدبية واللغوية أهله إلى أن يباشر التدريس في كل من الزيتونة، ومعهد الدراسات الإسلامية، والمدرستين الصادقية والخلدونية اللتين أسستا للجمع بين التكوين الأصيل والتأهيل الحديث،كما جعلت منه عالما مشاركا عميق التبحر في الفقه المالكي والدراسات المقارنة واستثمار الإلمام بتاريخ الإسلام وحضارته، فضلا عن التمكن من فنون المناظرة وآداب الجدل والخلاف، وقوة الخطابة وفنون البيان. وقد نظم أناشيد وطنية

[1]- محسن محمد صالح، المرجع السابق، ص 207.

سنة 1393هـ محافظة على روح التوجيه الوطني للشباب، وتحديا لمحاولة حكومة فيشي الفرنسية فرض أناشيد أجنبية على طلبة المدارس[1].

وكان رئيسا للجامعة الزيتونية، وعميدا لكلية الشريعة وأصول الدين منذ تأسيسها سنة 1961 إلى وفاته سنة 1970، وشغل مناصب قضائية من بينها رئاسة المحكمة الشرعية العليا، وبالمستوى نفسه مارس خطة الفتوى، وانخرط في نشاط واسع من المحاضرات والخطب والمناظرات.

03-توجهاته السياسية: تشكل القضية الفلسطينية أكبر الظواهر السياسية التي مثلت تحديا كبيرا للنخب الفكرية والدينية والسياسية في العالم العربي، ومما زاد من حجم هذا التحدي أن الحركة الصهيونية نشأت في ظل الاستعمار الأوربي للعالم الإسلامي واستفادت من ظروف التحكم الامبريالي في رقاب الشعوب العربية المستضعفة خاصة الشعب الفلسطيني.

ومحمد الفاضل ابن عاشور نموذج حي لهذا النوع من العلماء والمفكرين المعاصرين نظرا لما تميز به من متانة التكوين العلمي وسعة الأفق الفكري وعمق التجربة السياسية، ولا شك أن لكل العوامل المستخلصة من السيرة العلمية للفاضل ابن عاشور أثرا قويا في همومه واهتماماته وعطاءاته الفكرية المتنوعة.

في السياسة ترأس الاتحاد العام التونسي للشغل عند تأسيسه سنة 1946، كما عُيِّن في الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الجديد. لكن لم يستمر في هذه المكانة إذ سرعان ما استبعد خوفا من تأثيره الكبير.

[1]- محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، المرجع السابق، ص 208.

وكان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وشارك عدة مرات في مؤتمرات المستشرقين، إحداها بإسطنبول رفقة والده الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور سنة 1951، وألقى فيه محاضرة باللغة الفرنسية عن كتاب ابن حزم في الاحتجاج لمذهبه ضد القياس، مما يدل على إتقانه للغة الفرنسية التي تلقاها من أساتذة خصوصيين.[1]

اتخذ ابن عاشور من الجمعية الخلدونية مقرا للإصلاح الفكري والتوجيه السياسي منذ سنة 1945، وألقى بهذا الصدد سلسلة من المحاضرات، واستقدم علماء ومفكرين آخرين لتناول قضايا العالم الإسلامي ومشاكله وتاريخه. فألقى عدة محاضرات عن الاستعمار الفرنسي والبريطاني والإيطالي والهولندي، وجرائمهم ضد الشعوب الإفريقية والآسيوية، كما تحدث عن حرب الهند الصينية والغزو الروسي للشعوب الإسلامية الآسيوية.

04-وفاته: توفي يوم 12 صفر 1390 هـ (19 أفريل/19 نيسان1970م) في مدينة تونس مسقط رأسه.

05-مؤلفاته: تدل كثير من أعماله على الوعي بسياق طبيعة العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الغربي الاستعماري، وجذور التدخل الأجنبي في البلدان الإسلامية، مثل محاضرته عن صدمة الاحتلال[2]، وقد اهتم بإبراز تاريخ المقالة السياسية وتطور الخطابة الدينية في تونس.

ونظرا للإشعاع العلمي الذي حظي به تم استدعاؤه إلى المشاركة في الدروس الحسنية بالخصوص سنتي 1966م و1968م وألقى محاضرات في بعض المدن المغربية، مثل فاس وتارودانت، وقد طبعت بعنوان: المحاضرات المغربية.

وعندما قدم إلى الدراسة في معهد محمد الخامس بتارودانت سنة 1968، ترك أثر المحاضرة التي ألقاها بهذه المؤسسة، وهي سنة سارت عليها تلك المؤسسة قبل ذلك وبعده، مما جعل سجلها الذهبي حافلا بأسماء وازنة ممن زاروها وحاضروا فيها، مثل الفيلسوف محمد عزيز الحبابي، والداي عبد العظيم أبو المجد، والمفكر المهدي بن عبود، والدكتور رشدي فكار، وعالم الاجتماع

[1]- حسن أحمد جغام، المرجع السابق، ص 102.

[2]- محمد الفاضل ابن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين 13-14هـ /19-20م، بيت الحكمة، قرطاج، 2009، ص 23.

الدكتور علي عبد الواحد وافي، والعلماء حسن الزهراوي، وعبد الله كنون، ومحمد المكي الناصري، وإدريس الكتاني، ومحمد العثماني، وأحمد عبد الرحيم عبد البر وغيرهم.[1]

والمقام ليس مخصصا لتتبع آثار الفاضل ابن عاشور العلمية التي يتجلى فيها بالخصوص استثمار تكامل العلوم والمعارف، والاستفادة من الخبرة السياسية، والوعي بتفاعلات الواقع، والتمكن من مهارات التواصل والتفاوض والخطابة وصناعة الرأي العام، ولكننا نقتصر هنا على جانب واحد مما شمله إنتاجه الفكري ونشاطه السياسي وإشعاعه الاجتماعي، هو قضية القدس وفلسطين.

[1] عمر أفا، محاضرات الكتاب التذكاري ، معهد محمد الخامس بتارودانت 1956-2005، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، نشر دار السلام، الرباط، 2021، ص 13.

المبحث الثاني: مساهماتهما وموقفهما من القضية الفلسطينية

منذ أن اكتسح الاستعمار الفرنسي تونس سنة 1881م، جدت في بقية أرجاء المنطقة العربية قضايا جسيمة، أثرت إيجابيا في الوعي القومي العربي في تونس نذكر منها الغزو الإيطالي لليبيا سنة 1911م، ومساندة ثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب الأقصى سنة 1925م، إلا أن القضية التي ساهمت أكثر من غيرها في تعميق الوعي القومي العربي في تونس هي القضية الفلسطينية، وذلك راجع للمميزات التي انفردت بها هذه الأخيرة عن غيرها من القضايا العربية الأخرى.

المطلب الأول: مساهمات وموقف عبد العزيز الثعالبي

كان الشيخ عبد العزيز الثعالبي على علاقة بفلسطين وبرجالاتها إذ زارها العديد من المرات خاصة بعد هجرته الاضطرارية من تونس سنة 1923م ولعب دورا مميزا في التوفيق بين بعض الفرقاء السياسيين الفلسطينيين،كما ساهم في التعريف بالقضية التونسية في المشرق العربي وفلسطين وحثّ التونسيين للاهتمام بالقضية الفلسطينية الأمر الذي دفع أحد الباحثين الإسرائيليين للقول أن مشاركة الشيخ عبد العزيز الثعالبي في مؤتمر القدس سنة 1931م، كانت نقطة انطلاق العلاقات الحقيقية بين العالم العربي والحركة الوطنيّة التونسيّة، فمن تلك اللّحظة، أصبح الموضوع الفلسطيني نقطة الالتقاء أو حلقة الاحتكاك الأساسية بين الصهيونية والأقليّة اليهوديّة من جهة والدستور والمجتمع الإسلامي التونسي من جهة أخرى[1].

01-دور الشيخ عبد العزيز الثعالبي في إدراك النخبة التونسية لأبعاد القضية الفلسطينية:

غادر الشيخ عبد العزيز الثعالبي تونس سنة 1923 مكرها، باتجاه المشرق العربي و تمكن من تمتين وتجديد علاقته مع النخب العربية الفكرية والثقافية والسياسية المصرية والفلسطينية والشامية وكان جسرا بينها وبين النخبة التونسية وساهم، هذا التفاعل عبر الصحف والكتب والرسائل، إلى حد بعيد في توضيح الفكرة الصهيونية وطبيعة الصراع بينها وبين الفكرة العربية: ومثال ذلك ما كتبه **محي الدين القليبي** عضو اللجنة التنفيذية للحزب الحر الدستوري التونسي والمثقف

[1] عمر أفاء، المرجع نفسه، ص 14.

والصحافي، الذي امتدح انجازات المندوب السامي البريطاني بفلسطين **هربرت صموئيل** و بإيعاز من الشيخ الثعالبي ردّ عليه **أحمد علي الطاهر**، مدافعا عن موقف الفلسطينيين إبان الحرب الكونية الأولى ونتيجة لذلك لكل ذلك تزايد الاهتمام بالمسألة الفلسطينية كما تزايد إدراك طبيعتها إلى حّد تبنّيها خاصة بعد أحداث البراق التي بينت بشكل واضح للنخبة التونسية طبيعة المشروع الصهيوني وهو ما مكّن تدريجيا من فهم "أعمق" لطبيعة المشروع الصهيوني بمختلف أبعاده وتحالفاته وخاصة ارتباطه بالقوى الاستعمارية[1].

فالدور الذي لعبه الشيخ الثعالبي غداة خروجه من تونس عام 1923م كان دور رئسي في التحسيس بالقضية الفلسطينية بشكل مباشر وغير مباشر، فاستمد الثعالبي مفهوم الجهاد من مفهوم الإسلام، فأولى اهتماما كبير للنهضة العربية وعمل على دعمها، فكان رائد الترابط العربي القائم على القيم الإسلامية، فمنذ اللحظات الأولى التي حل بها الثعالبي في المشرق مهاجرا كانت فلسطين محط ترحاله وإقامته[2].

بعد نفي عبد العزيز الثعالبي واستقراره في المشرق العربي تطورت الحركة الوطنية وتبلورت فكرة الوحدة العربية، فكان الثعالبي أول من نادى بتوحيد الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، كقد ربط الحركة التحرر الوطني بالمشرق العربي، فضلا أنه من دعا لإقامة جامعة علمية في القدس يساوي جامع الزيتونة كالأزهر وجامع القرويين في فاس، لتكون هذه الجامعة سداً منيعا في وجه الحركة الصهيونية، إلا أن بعض علماء الأزهر رفضوا هذا الاقتراح بحجة أنه سينقل ثقل من مصر إلى فلسطين، بينما العلماء الثوريين في الأزهر أيدوا هذا الاقتراح واعتبروه وسيلة لمواجهة الخطر الصهيوني. ليترك بذلك الثعالبي أثناء إقامته ذكرى طيبة وسمعة عظيمة ليس باسمه فقط وإنما باسم بلاد المغرب العربي في الجناح الشرقي من الوطن العربي، فكان يحضر ساعات طويلة دون كلل أو ملل معرفا بقضايا الأمة العربية كاشفا دور الاستعمار الذي يستولي وينهب ثروات البلاد[3].

---

[1]- د.عبد اللطيف الحناشي، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والقضية الفلسطينية، 1923م-1944م جامعة منوبة، تونس، ص01.

[2]- أبو جزر أحمد، "بلدان المغرب العربي والقضية الفلسطينية "1948م-1978م (تونس،الجزائر، المغرب)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: نويصر مصطفى، جامعة الجزائر2، 2013م-2014م، ص 16.

[3]- الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص 60.

02-ثورة البراق 1929م: في صيف عام 1929م نشبت الثورة المعروفة " **بثورة البراق**" في القدس، على إثر صدام بين اليهود والعرب، عند الحائط الغربي للحرم القدسي الشريف، الذي يعتبره المسلمون الباب الذي دخل منه الرسول محمد صلى الله عليه و سلم في إسرائه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى راكبا الدابة المعروفة في هذه التقاليد بالبراق، إلا أن اليهود يعتبرون الجدار بقية من هيكل سليمان عليه السلام، لذلك عمدوا على تقديسه و إقامة بعض الشعائر الدينية ولعل أبرزها البكاء عنده وعرف بـ "**بحائط المبكى**"[1].

ونتيجة لأحداث البراق 1929 أرسل التونسيون برقية إلى المجلس الإسلامي الأعلى بفلسطين يتأسفون من خلالها اعتداء اليهود على المسلمين والحرم القدسي، وأنهم مستعدون لبذل كل عزيز وغالي ضد كل اعتداء يمس إخوانهم في الحرم[2].

أثرت قضية البراق شعور المسلمين إلى ضرورة عقد المؤتمر الإسلامي ردا على القرار المجحف من قبل اللجنة الدولية على إثر المساس بالمقدسات الإسلامية[3].

03-تشكيل اللجنة العربية لشمال أفريقيا: أصدر الحزب الدستوري كراسا بعنوان: (فلسطين الشهيدة)، متضمن عرض الأوضاع الفلسطينية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية منذ الانتداب البريطاني إلى حدود سنة 1937، مبرزا معاناة الفلسطينيين ومقاومتهم للوجود الصهيوني ودعوتهم للتضامن معهم ونصرة قضيتهم العادلة[4].

كما عرض الحزب مشروع التقسيم سنة 1937 بإرسال برقية للأمين العام لعصبة الأمم جاء فيها: (**إن الحزب الحر الدستوري التونسي يحتج على مشروع تقسيم فلسطين المنافي**

---

[1]- وزورة محمد عزة، "القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها"، ج 1، د.ط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا (بيروت)، 1959م، ص 61

[2]- خير بك بشرى ،موقف الحركات الوطنية في أقطار المغرب العربي (تونس الجزائر المغرب) من قضية فلسطين خلال فترة مابين الحربين "1939م- 1920م"، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، 2004م-2005م، ص 211.

[3]- عبد العزيز الثعالبي، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس 1931م، ط1، تح: الساحلي (حمادي)، دار الغرب الإسلامي، (بيروت لبنان)، 1988م، ص 83.

[4]- عقيب محمد السعيد، لحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1956م- 1934م، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر2، 2009-2010، ص 386.

للحقوق والحقائق التاريخية وللعهود المقطوعة، ويؤكد لكم تضامنه الذي لا ينفك مع عرب فلسطين الذين يجاهدون في سبيل الحياة و الوطن)، كما بعثت " **لجنة إغاثة فلسطين**" بتونس برقية إلى رئيس اللجنة التنفيذية العليا بالقدس بإمضاء أحمد بن ميلاد جاء فيها (**إن لجنة إغاثة فلسطين بتونس تعلن تضامنيا مع فلسطين، وتؤكد لها مؤازرتها لإنقاذ فلسطين وتخليصها من الاعتداء الذي يرمي إلى تفكيك عرى الوحدة العربية)**[1].

تزامنت هذه الحملة الواسعة التي قادها الحزب الدستوري ضد مشروع التقسيم مع حوادث مهمة على المستوى الوطني، منها عودة الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى تونس[2]، بعد ابتعاد اختياري دام نحو 14 عاما، الذي أكسبه ثقة متزايدة في إطار الحركة الإسلامية العربية والفلسطينية وعلاقة مع الفاعلين السياسيين وكالمفكرين والمصلحين العرب والمسلمين[3].

04- رسالته إلى أعضاء الحزب الحرّ الدستوري 18 أكتوبر 1931م: ويضيف في رسالة أخرى:"وأنتم أدرى الناس بانّ من غايات المؤتمر الّذي لكم الفضل الأكبر في إنجاحه، أن يشكّل مركز إسلامي يعضد العالم الإسلامي" رسالة إلى الثعالبي 20 يناير 1932م[4].

05- دور الشيخ عبد العزيز الثعالبي في عقد مؤتمر القدس وإنجاحه

لم يرَ الثعالبيّ فائدة من عقد مؤتمر لا تُرسم له الخطط المسبقة المحيطة بأحوال الأمّة، وفحص الأسباب الداخليّة والخارجيّة التي أوصلت إلى الإخفاق، ويذكر الثعالبيّ من هذه الأسباب، الدعايات الأجنبيّة التي أفسدت عقول الكثيرين وضمائرهم، وفرقت بين الأخ وأخيه، والأب وبنيه، وهذا هو السرّ في إخفاق كلّ نهضة ظهرت في البلاد الإسلاميّة، فلا بدّ من تغيير الطريقة، وإصلاح المنهاج، ودرس أسباب هذا الإخفاق، وهذا لا يكون من عمل الأفراد، ولا

---

[1]- عقيب محمد السعيد، المرجع السابق ، ص 386.

[2]- الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1937م-1934م "، د.ط، دار المعارض للطباعة والنشر، سوسة، تونس، 2002م، ص 30.

[3]-عبد اللطيف الحناشي ، تطور الخطاب السياسي في تونس اتجاه القضية الفلسطينية 1950-1955، ط1، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، 2016م، ص ص 171-172.

[4]- حسن أحمد جغام، أمة اجتمعت في إنسان منشورات دار المعارف، سوسة، تونس، 1989م، ص 100.

بجهود موضعيّة يستبدّ بها فريق دون فريق، إنّما يكون العمل بعقد اجتماع يتألّف من عباقرة المسلمين، وفطاحلهم، وزعمائهم وهم كثيرون.

أ- نشاط الثعالبي في التحضير للمؤتمر: اقترح الثعالبيّ تأليف لجنة من الذين يطمئنّ لهم سكّان أقطارهم، في العراق، وسوريّا، وفلسطين، ومصر، وتونس، والمغرب الأقصى، وجاوه، والهند، وفارس، وألبانيا، والبوسنة، وغيرها''، تتولّى المنابأة و المفاهمة مع الأفراد المعروفين في بقيّة الأقطار الأخرى، وبعد الاتّفاق توضع المناهج لأعمال انعقاد المؤتمر ومكانه.[1]

كان الدور ريادي لعبد العزيز الثعالبي في عقد المؤتمر وإنجاحه ، فبعد تغلّب فكرة عقد المؤتمر في القدس على ما عداها من البلاد الإسلاميّة وغير الإسلاميّة، بدأ العمل في الإعداد للمؤتمر بتأليف اللجنة التحضيريّة من (16) عضوًا كلّهم من الفلسطينيّين ما عدا الثعالبيّ الذي تولّى رئاسة اللجنة، وقد أخذت هذه اللجنة على عاتقها أمر التمهيد للمؤتمر من حيث الإعداد، والدعاية، وتنظيم أعماله وتوضيح أهدافه.

وعقدت الجلسات العديدة لضمان الوسائل المساعدة على انعقاده في موعده، وقد واجهت اللجنة صعوبات جمّة في التصدّي للدعاية المضادّة للمؤتمر، والمتمثّلة في المعارضين من العرب والمسلمين من داخل فلسطين وخارجها يشجّعهم في ذلك الاستعمار البريطانيّ والصهيونيّة، فتصدّت لهم اللجنة بكلّ قوّة، وعلى رأسها الثعالبيّ لدحض كلّ ادّعاء يحول دون انعقاد المؤتمر.[2]

وقد تجسّدت مساعيه في عدد من اللقاءات والمقالات والرسائل الّتي رام من ورائها تصحيح النظرة للمؤتمر ومنها يمكن أن نذكر ما يلي:

" أمّا مسالة المؤتمر فقد عني بها منذ أكثر من سنتين والجهود لم تزل مصروفة في سبيل عقده، وخصوصًا حين ظهرت مسألة البراق الشريف، وقد نضجت أخيرًا، وحضرت أكثر الجلسات التي عقدت لوضع القانون الأساسي للمؤتمر وبرنامج أعماله واشتركت فيها وأؤكد لكم تأكيدا قاطعًا أنّه لم يشهد هذه الجلسات أحد من إخواننا المصريين، ومولانا شوكت علي نفسه

[1]- مجلّة المعرفة، منشورات مجلّة العرفان، مصر أيلول 1931م، مجلّد 22، باب مختارات الصحف، جزء 4، ص ص 490-492.

[2]- الشيبانيّ بن بلغيث، دور الشيخ عبد العزيز الثعالبيّ في المؤتمر الإسلاميّ العامّ في القدس، 1931م، ص ص 10-11.

لم يكن عضوًا في اللجنة التحضيريّة ولم يحضر إلاّ جلسة واحدة، ولم يدرْ قطّ في الجلسات الّتي تكرّر عقدها مدّة شهرين كلامٌ ما على الخلافة الإسلامية أو من هو الّذي يتولّى أمرها[1].

وأستطيع أن أصرّح لكم لا عن نفسي وحدي بل وعن الأصدقاء الكرام الّذين اشتركوا في مداولات اللجنة التحضيريّة، أنّ مسألة الخلافة لا تشغل أفكارهم، ولن يكون لها ذكر في المؤتمر القادم الّذي سيشتغل بالنظر في الوسائل الفعّالة لحفظ البقاع المشرّفة في فلسطين وصيانتها، وكذلك بوضع مؤسسات لإيجاد ثقافة إسلامية عالية تمدّ المسلمين بكلّ ما يحتاجون إليه من علوم وفنون وكتب وتغذيتهم روحيّا وعقليّا بكلّ ما تقوم به نهضتهم الاجتماعيّة الحديثة، وكذلك التفكير في إيجاد موارد ماليّة للإنفاق على هذه المشروعات وتقوية الروابط الاجتماعيّة بين المسلمين.. وكلّ ما يقال غير ذلك فهو من قبيل الروايات الخياليّة الّتي يحكيها الدعاة الصهيونيين، ويقصدون بها إفساد المساعي لعقد المؤتمر وكذلك إحداث قلق في أفكار البعض من الدول الإسلامية الّتي لا يسرّها فتح الباب للكلام في مسالة الخلافة في الوقت الحاضر" لقاء مع جريدة المقطع في عددها الصادر يوم السبت 24 أكتوبر 1931م.[2]

وفي اجتماع الأستاذ الثعالبي بفضيلة شيخ الأزهر الشيخ الأحمدي الظواهري لمحاولة تصحيح موقفه من المؤتمر وتوضيح أهدافه وغاياته يقول الثعالبي في هذا السياق:" المطالب الّتي ستعرض على المؤتمر وهي الّتي دعي من أجلها الانعقاد منها حراسة جدار البراق وتثبيت أقدام العرب في فلسطين بواسطة تقرير مشروع شراء الأرض ووقفها على وجوه البرّ والدفاع عن وقفيّة سكّة حديد الحجاز وإنشاء جامعة المسجد الأقصى وإحداث ثقافة إسلامية عالميّة".

وهنا تكلّم الشيخ في صيغة حازمة عليها مسحة من الندم فقال:" **ما مضى مضى فلا عتاب ولا ملامة وسآمر الآن بوقف الحملة.**"

---

[1]–الأرشيف الفلسطيني في جامعة بيرزيت، البلدان الممثلة في المؤتمر الإسلامي بالقدس العام 1931م
http://www.awraq.birzeit.edu/sites/default/files/1931 – Islamic Conference Attending Countries_0.pdf–
الموقع الإلكتروني تم الإطلاع عليه بتاريخ: 2025/02/15 على الساعة : 13:04

[2] – محسن محمد صالح، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، تقديم الشيخ عمر الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – الكويت، ط 2، 1989، ص 206 .

وكانت نتيجة هذه الجهود المبذولة من عبد العزيز الثعالبي وغيره من الإشراف الغيورين على عزّة الوطن المتصدّين للهجمات الصهيونيّة على الأراضي العربيّة النجاح في عقد المؤتمر وتمرير أهدافه.
شكلت تجربة المؤتمر الإسلامي الأول في القدس، نواةً أو نموذجًا، للعمل الائتلافي الإسلامي العامل للقضية الفلسطينية، قبل ظهور التجربة الجهادية للشيخ عز الدين القسام، أو بدايات نشاط جماعة الإخوان المسلمين في فلسطين، وكان للحاج أمين الحسيني دورٌ بارزٌ في إطلاق هذا المؤتمر، ومحاولة البناء عليه لاحقًا، مما يدعو لإعادة قراءة وتحليل تجربة الحاج أمين الحسيني، وبعدها الإسلامي، والقومي، وتجلياتها وتقاطعاتها[1].

كما لعب الثعالبي دورا هاما في إنجاح المؤتمر وتحقيق أهداف انعقاده، ومن أهم الأدوار التي كلف بها هي[2]:

- رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر وإعداد التقرير العام باسم المكتب الدائم للمؤتمر والمساهمة الفعالة في إعداد وتنظيم وإنجاح أشغال المؤتمر.
- الجهود التي بذلها في فلسطين والقاهرة لإقناع مؤسسة الأزهر و رئيس الحكومة المصرية وإقناع هذه الأخيرة بالموافقة على حضور المؤتمر والتخلي عن الشروط التي وضعتها لقبول المشاركة وإيقاف حملات الدعاية ضده.
- تكليفه من قبل الحاج أمين الحسيني بكتابة تقريرين يتعلق التقرير الأول بإنشاء"الجامعة الإسلامية"وأهدافها وكيفية إدارتها في حين يتعلّق الثاني بقضية الظهير البربري.

المطلب الثاني: مساهمات وموقف الشيخ فاضل بن عاشور

كان الشيخ محمد الفاضل بن عاشور خطيباً مفوّهًا، يشد سامعيه إليه شدا، وقد برز خاصة في الأربعينات في الأنشطة الداعمة للقضية الفلسطينية وفي تنظيم الاحتفالات احتفاء بتأسيس جامعة الدول العربية، وقد جلب له هذا النشاط التقدير والاحترام والتأثير في الوسط الزيتوني وفي الساحة الوطنية، وهو ما هيّأه لأن يترأّس الاتحاد العام التونسي.

[1]- محسن محمد صالح، المرجع السابق، ص 206.

[2]- عبد العزيز الثعالبي: خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس، المرجع السابق ، ص 339.

01- محاضرات القضية الفلسطينية: ألقى سلسلة من المحاضرات مابين نوفمبر 1947م وأفريل سنة 1948م. وعناوينها كالآتي[1]:

1- تحقيق في نسب يهود.

2- المذهب الصهيوني ومساسه بالسياسة العالمية.

3- الانتداب البريطاني منشأ المشكلة الصهيونية.

4- الثورة الفلسطينية الكبرى.

5- القضية الفلسطينية بعد الكتاب الأبيض (1939م).

6- لجان البحث الدولية في فلسطين وبرامجها.

وقد جعل الشيخ لهذه المحاضرات الست عنوانا عاما معبرا هو: "**فلسطين الوطن القومي للعرب**"، وسياق هذه المحاضرات هو الوقوف في وجه الحملات الدعائية الصهيونية التي لقيت دعما هاما من الصحف الاستعمارية، فأثرت في بعض التونسيين الذين بلغ بهم الأمر إلى حد اتهام الشيخ الفاضل بأنه وراء إثارة فتنة داخلية مع اليهود التونسيين.

وفي هذا الإطار كانت محاضراته الست عن القضية الفلسطينية، مع دوام الربط والاستشهاد بواقع البلاد التونسية في صراعها مع الاستعمار الفرنسي، لتحريك الشعور الوطني والديني. فجمع بين التأصيل العلمي لقضية القدس وفلسطين، والوعي بالسياق التاريخي ومعطيات التدافع الدولي المعاصر. وفي هذا الإطار كانت محاضراته الست عن القضية الفلسطينية، مع دوام الربط والاستشهاد بواقع البلاد التونسية في صراعها مع الاستعمار الفرنسي، لتحريك الشعور الوطني والديني. فجمع بين التأصيل العلمي لقضية القدس وفلسطين، والوعي بالسياق التاريخي ومعطيات التدافع الدولي المعاصر.

ومن أهم الخلاصات والمقررات في المحاضرات الست[2]:

---

[1]- حسن المناعي، الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، مسيرته العلمية والإصلاحية، مركز النشر الجامعي، منوبة، ص 134- 135.

[2]- عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي في تونس اتجاه القضية الفلسطينية، مصدر سبق ذكره، ص ص 171- 172.

1- إن فلسطين منذ عرفها التاريخ كان سكانها هم العرب.

2- إنه كلما أقام فيها اليهود كانت إقامتهم فيها بلا سيادة، إلا فترة الملوك من القرن العاشر إلى القرن الثامن قبل الميلاد.

3- إن التاريخ الإنساني يشهد أن اليهود عاشوا في سلام وأمن تحت ظل الحكام المسلمين. وهم يعرفون ذلك جيدا، كما يعرفون أن عدوهم الحقيقي هو أوربا، وأكبر شاهد على ذلك ما فعلته النازية ضدهم من قتل وتعذيب وتشريد.

4- استغلال اليهود تلك الأحداث للقيام بمظلمة ثانية سلطت على شعب آخر هو شعب فلسطين.

5- نقل الأحداث إلى غير موقعها من قبل أوربا عوض تحمل حل المشكل بمقاومة الشر النازي. وهذا هو منطق الاستعمار الغربي الذي سارت عليه أوربا خلال قرون عديدة.

6- تحميل الدول الغربية مسؤولية هذه المظلمة، لأنها كانت السبب في نشأة المشكلة الفلسطينية، مع عجزها عن إيجاد الحلول السلمية والإنسانية لها.

7- المشكل اليهودي مشكل عالمي، ومبادئ العالم الإسلامي تفرض عليه الاهتمام به، وإننا مسؤولون عن حظوظ الإنسانية، نهتم بمشاكل الدنيا، ونتحدى العالم بأن لنا من الطرق ما يشفي كل داء عالمي يتطلب المواساة والإنقاذ.

02-التعبئة العامة للجهاد في فلسطين: لم يكتف ابن عاشور بهذه التعبئة الفكرية في التعريف بقضية فلسطين ونشر الوعي السياسي بجذورها التاريخية وأبعادها في موازين القوى العالمية والعلاقات الدولية. بل قاد حملة واسعة في التعبئة العامة شملت كامل البلاد التونسية، من أجل المشاركة الفعلية في حرب تحرير فلسطين، رفقة زملائه المناضلين، أمثال: المنجي سليم، وصالح بن يوسف، والشاذلي بلقاضي، ومحمد الصالح النيفر، والطيب التليلي. وأسس لهذا الغرض رفقة زملائه تنظيمين هما: لجنة الدفاع عن فلسطين العربية، وفرع المؤتمر الإسلامي بتونس لحماية القدس الشريف[1].

[1]- الفاضل ابن عاشور، فلسطين الوطن القومي للعرب، نشر علي الجندوبي، تونس، 2009م، ص 39.

واندفع يخطب في المساجد والمحافل والأوساط الشعبية والطلابية في العاصمة وخارجها، داعيا إلى الجهاد، ومعرفا بالخطر اليهودي على الأمة الإسلامية، وتحالفه مع القوى الاستعمارية العالمية ضد الإسلام والمسلمين[1].

تقبل الناس أمر الجهاد بكل اندفاع، وفتحت لذلك مكاتب تسجيل المتطوعين، وبلغ عدد المسجلين في القائمة التي كان على رأسها ابن عاشور والشاذلي بلقاضي أربعين ألف متطوع[2].

وإنصافا إلى هذا التسجيل عمل آخر هو الجهاد المالي بجمع الأموال لدعم العمل الجهادي. وتولى ذلك الشيخ الطيب التليلي العالم الزيتوني المعروف بتشجيعه المادي والمعنوي لإصلاح التعليم خلال الأربعينات، وتأسيس الكتاتيب والمؤسسات التعليمية الدينية (توفي سنة 1989م).

03- وهن الجبهة الداخلية والخذلان اليساري المشبوه: تلقى مشروع الفاضل ابن عاشور تجاه قضية فلسطين عدة ضربات من الجبهة الداخلية التي تظل دائما ذات خطر، خاصة عندما يتنبه الأعداء إلى استثمارها في الخلافات والمنازعات الداخلية بين الأشقاء المنتمين إلى أمة واحدة وتاريخ واحد ومصير مشترك. وتمثل وهن هذه الجبهة بالخصوص في المواقف الآتية:

1- موقف بعض أتباع الدستور الجديد الذين قاموا بحملة دعائية ضد الشيخ الفاضل ابن عاشور والشيخ الشاذلي بلقاضي, وكان من بين المعارضين أحمد بن سلامة الذي كان ينتقل في المحافل الوطنية ويقول: إن الفقراء التونسيين أولى بالإعانات، واتهم الشيخين بالتحريض على الانتقام من اليهود التونسيين.

وأبدى بعض السياسيين تخوفهم من هذه الحملة تحسبا لما يمكن أن تؤول إليه من طلب اليهود للتجنيس، أو هجرتهم إلى فلسطين.[3]

2- موقف الاتجاه النقابي المتمثل في الاتحاد العام التونسي للشغل: حيث استغل الخصوم الرأي السابق لتصعيد العداء ضد الشيخ، خاصة في مؤتمر الاتحاد سنة 1948، حيث اتضح فيه

[1] الفاضل ابن عاشور، فلسطين الوطن القومي للعرب، المرجع السابق، ص 39.

[2] المرجع السابق، ص 39.

[3] المرجع السابق، ص 40.

الخلاف جليا بين الشيخ ابن عاشور والنقابي فرحات حشاد حول المسار الذي اتخذته القضية الفلسطينية في تونس.

3- موقف الحزب الشيوعي التونسي المؤيد للموقف السياسي للاتحاد السوفياتي في مساندته قرار تقسيم فلسطين.

4- وقوف السلطات الاستعمارية الفرنسية ضد التعبئة العامة للشعب التونسي بقيادة ابن عاشور. ومنعها للمجاهدين من السفر إلى المشرق، وتابعت المتسللين منهم عبر الحدود الليبية، مستعينة بالجيش الإيطالي المستعمر لليبيا[1].

وقامت القوات الاستعمارية –بتعاون مع بعض الخونة المحليين- من نصب كمين قاتل لعدد من التونسيين في القطار بالجنوب التونسي، وهم يريدون التوجه إلى فلسطين، بعد قيامهم بعمليات فدائية داخل البلاد.

وقد حاولت مجموعات كبيرة من المتطوعين، رغم هذه التحديات، الالتحاق بجبهة القتال، إلا أن أغلبهم لم يصل إلى المشرق، واضطروا –بعد وقف المعارك- للعودة إلى تونس، وعانوا في رجوعهم الاضطهاد والجوع من قبل الفرنسيين والانجليز والطليان وعملائهم المحليين في كل من مصر وليبيا[2].

04-السير على سبيل الختم والاستمداد: إن المسار الذي سجله بن عاشور في خدمة القضية الفلسطينية شاهد حي لاستمداد كثير من الدروس والدلالات أهمها:

[1]- الفاضل ابن عاشور، فلسطين الوطن القومي للعرب، المرجع السابق، ص 40.

[2]- الهادي التيمومي: النشاط الصهيوني بتونس بين 1897م و1948م، ص 194.

1- اتساع المجال للأدوار التي يمكن أن تقوم بها مؤسسة العلماء والنخب الفكرية الحرة وهيئات المجتمع المدني الجادة لخدمة القضية الفلسطينية، عوض التحسر اليومي والزفرات المؤلمة، نتيجة ما عاصرناه منذ عقود من طغيان الطاغوت الصهيوني، بتأييد من القوى الاستعمارية المهيمنة، وخذلان من الأنظمة المطبعة، ووهن من الشعوب المستضعفة.

3- جدوى التكوين المزدوج بالجمع بين التكوين العلمي الأصيل وتجديد أدوات الوعي بالتاريخ وفهم الواقع والتمرس بآليات التواصل في المناظرة والمحاضرة والخطابة لصناعة الرأي العام الكفيل بفهم القضية الفلسطينية، وتحدي وهن العدمية التي تعيشها النخب الفكرية والسياسية تجاه القضية، والآثار السياسية المترتبة عن ذلك في هرولة الأنظمة إلى التطبيع السياسي والاقتصادي والخيانة التاريخية للأبطال وشهداء التحرير.

4- خطورة الأدوار التي تقوم بها مراكز الجبهة الداخلية انسجاما مع الذل الذي يطبع النفوس اللئيمة، واسترزاقا بوأد الضمير لنيل مصالح سياسية موهومة ومكاسب مادية زائلة.

5- الوعي بالتحالف الوجودي بين القوى الاستعمارية والحركة الصهيونية رغم تطور ألوان الهيمنة الاستعمارية، والتلويح بشعارات السلم والتسامح في غفلة عن الوعي بالتاريخ، وانسجاما مع نظرية الاستكبار والانبهار. فنشأة الصهيونية وتطورها كان دائما بدعم من الدول الكبرى التي تمكنت قوى الضغط اليهودية من التأثير في قراراتها السياسية وتوجيه علاقاتها الدولية.

6- أن هناك دائما مجالا للمبادرات الحرة والجادة من أجل دعم قضية فلسطين حتى عند عدم توفر شروط مشاركة الجيوش العربية والإسلامية في مواجهة مجرمي الحرب قتلة الأطفال وهادمي المساجد والمستشفيات – كما دعت إلى ذلك الفتوى الأخيرة للاتحاد العالمي لعلماء المسلمين- فإن في الجهاد الفكري والمالي ما يخدم القضية بشكل أو بآخر.[1]

05- اسهامات فضل بن عاشور في مسار مؤتمر القدس: لم يكن لفاضل بن عاشور (الشيخ محمد الفاضل بن عاشور) دور مباشر في مؤتمر القدس الذي عقد في عام 1948م،

[1]- الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 194.

ولكن كان له دور بارز في دعم القضية الفلسطينية قبل هذا المؤتمر، حيث كان خطيبًا مفوهًا وشخصية مؤثرة في الوسط الزيتوني وفي الساحة الوطنية.

وهنا بعض التوضيحات حول مساهمات فضل بن عاشور في دعم القضية الفلسطينية[1]:

أ– خطيبًا مفوهًا: كان فضل بن عاشور معروفًا بمهاراته الخطابية القوية، مما جعله مؤثرًا في التأثير على الرأي العام حول القضية الفلسطينية.

ب– دعم القضايا الإسلامية: كان فضل بن عاشور يشارك في الأنشطة التي تدعم القضايا الإسلامية، بما في ذلك القضية الفلسطينية، وتنظيم الاحتفالات احتفاء بتأسيس جامعة الدول العربية.

ت– الوسط الزيتوني: كان له دور بارز في الوسط الزيتوني، حيث كان يشارك في الأنشطة التي تدعم القضايا الإسلامية، مما ساهم في تعزيز دعمه للقضية الفلسطينية.

ث– الساحة الوطنية: كان له دور بارز في الساحة الوطنية، حيث كان يشارك في الأنشطة التي تدعم القضايا الإسلامية، مما ساهم في تعزيز دعمه للقضية الفلسطينية.

ج–تأسيس جامعة الدول العربية: كان له دور في الاحتفالات احتفاء بتأسيس جامعة الدول العربية، مما يدل على اهتمامه بالقضايا العربية والإسلامية، بما في ذلك القضية الفلسطينية.

وفي الختام بينما لم يكن لفضل بن عاشور دور مباشر في مؤتمر القدس، إلا أنه كان له دور بارز في دعم القضية الفلسطينية قبل هذا المؤتمر، حيث كان خطيبًا مفوهًا وشخصية مؤثرة في الوسط الزيتوني وفي الساحة الوطنية[2].

[1]– الهادي التيمومي: المرجع السابق، ص 195.

[2]–الفاضل ابن عاشور، فلسطين الوطن القومي للعرب، المرجع السابق، ص 39.

خلاصة :

بعدما كان وعي التونسيين لطبيعة الحركة الصهيونية وأهدافها متأخرا نوعا ما مقارنة ببعض العرب الآخرين، لعوامل عديدة، غير أن ذلك لم يستمر طويلا، إذ سريعا ما تبينوا ذلك وناصروا الفلسطينيين وقضيتهم بكل الوسائل.

وقد ساهمت بعض العوامل الداخلية والخارجية الذاتية والموضوعية في ذلك غير أن وجود بعض الشيوخ على شاكلة عبد العزيز الثعالبي في المشرق العربي بعد نفيه منذ سنة 1923 وفاضل بن عاشور في تونس قد ساعد كثيرا على اتضاح الرؤية لدى النخبة التونسية تجاه القضية الفلسطينية خاصة إذ ساعدا على ربط وتدعيم العلاقات بين النخبتين التونسية والمصرية والفلسطينية، الأمر الذي ساعد على التواصل بينهما بأشكال مختلفة.

وتشير بعض الدراسات الجادة أن فكرة مؤتمر القدس الإسلامي الأول هي من بنات أفكار الثعالبي الذي اقترحها على الحاج أمين الحسيني ودعاه للعمل على تنظيم المؤتمر ولعب الشيخ دورا رئيسيا في التنظيم والدفاع عن المؤتمر وفي إقناع عدد كبير من أفراد النخب في الدول العربية والإسلامية من مختلف الطوائف والتيارات الدينية لحضور أشغال المؤتمر والمساهمة في إنجاحه من خلال إلقاء المحاضرات أو الكلمات، أو المشاركة في النقاش العام، الأمر الذي ساعد على أن يكون مؤتمرا ناجحا ليس فقط بحضور الجمع الكبير من ممثلي المسلمين في كل مكان، بل عبر قراراته ومواقفه لصالح قضية القدس والمسلمين.

الفصل الثالث: موقف التيار الليبيرالي –بورقيبة–من القضية الفلسطينية

- ✓ المبحث الأول: التعريف بالحبيب بورقيبة
- ✓ المبحث الثاني: موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية 1946م–1965م.

تمهيد

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، شهدت القضية الفلسطينية تطوّرات عديدة، وتعدّدت المشاريع التي كانت تسعى لإيجاد حلول سياسية لها. ومن بينها، إدراج القضية الفلسطينية ضمن أعمال الدورة الاستثنائية للجمعية العامة للأمم المتحدة.

ومن جهة أخرى وبالتوازي مع ذلك تطور الخطاب السياسي في تونس تجاه القضية الفلسطينية (1920م-1955م) من جوانب التفكير السياسي التونسي في الشأن الفلسطيني، وتفاعل اليهود التونسيين مع القضايا الوطنية، فكان الخطاب السياسي في تونس من الوعي بأهمية القضية الفلسطينية إلى إدراك مخاطر الصهيونية، والعوامل التي ساهمت في تأخر إدراك الخطاب السياسي في تونس للقضية الفلسطينية والإيديولوجيات الصهيونية وتفكيكها، حيث برزت عدة شخصيات سياسية تونسية تساير وتناضل في هذه المرحلة الحساسة من بينها الرئيس الراحل الحبيب بورقيبة.

المبحث الأول: التعريف بالحبيب بورقيبة

المطلب الأول: المولد والنشأة

الحبيب بورقيبة[1] هو أول رئيس للجمهورية التونسية، حكمها ثلاثين سنة (1957م-1987م)، وتشبه بالزعيم التركي كمال أتاتورك، فأطلقت عليه ألقاب كثيرة مثل: "المجاهد الأكبر" و"صانع الأمة".

قال عنه الكاتب التونسي الصافي سعيد صاحب كتاب "بورقيبة.سيرة شبه محرمة"هو أكثر من رئيس وأكبر من عاهل بكثير، لقد جمع بين يديه دفعة واحدة سلطات الباي والمقيم العام الفرنسي".

01- المولد: ولد الحبيب بورقيبة يوم 3 أوت 1903م[2]، في حي الطرابلسية بمدينة المنستير الساحلية[3]، والده هو علي بن الحاج محمد بورقيبة وأمه هي فطومة خفاشة، وكان آخر العنقود وثامن الأولاد لأسرة ليبية الأصل متوسطة الحال. والحبيب بورقيبة لم يكن من أصول تونسية بل من أصول ليبية من مدينة مصراتة الليبية[4].

02-النشأة: التحق بورقيبة في سنة 1907م بالمدرسة الصادقية ، تلك المدرسة التي اندمج فيها دون أن ينسى أنه قادم من الضواحي، تحصل على شهادة الابتدائية سنة 1913م التحق بالثانوية إلى ليكون في الصف الذي يوجد فيه الطاهر صفر وتأثر به بورقيبة تأثرا كبيرا ولكن بعد أسبوعين قبل بورقيبة أن يعود إلى القسم لأنه قادر على متابعة دروس القسم الأول وواصل بورقيبة الدراسة في ثانوية كارنو، حيث كان يفضل الرياضيات، ويحضر دروس التاريخ والجغرافيا، ويتعمد الغياب عن دروس الفرنسية، وشغف بالمسرح وعالم التمثيل مما يجعله متغيبا دائما عن

---

[1] - أنظر الملحق رقم 05، ص 95.

[2] -السعيدالصافي ،بورقيبة مسيرة شبه محرمة ،ط1، رياض للكتاب والنشر ،بيروت ،2000،ص ص 31-34

[3] - Habib bourguiba,ma vie mon oevre(1929-1933) ,edition plom ,paris ,1987,p12

[4] السعيد الصافي ،المرجع السابق، ص 40.

دروس مادة الفرنسية ليتحصل بورقيبة على الجزء الأول من البكالوريا وكان ذلك بفضل تفوقه في مادة الحساب.

ولقد كان الاعتقاد من زملائه أنه سيختار شعبة الرياضيات للتقدم إلى الجزء الثاني من البكالوريا وبعد حصوله على الجزء الثاني من البكالوريا سنة 1924م اختار الحبيب بورقيبة موضوعا في الفلسفة يتعلق بالأخلاق ونال عليه علامة ممتازة[1].

تنقل بورقيبة إلى باريس لدراسة الحقوق مفضلا إياها على جامعة الجزائر، ويذكر الحبيب بورقيبة في من محاضراته أن لما اقترح عليه شقيقه محمد الدراسة بالجزائر أجابه قائلا:" اطلعت شقيقتي على اعتزامي الالتحاق بالتعليم العالي لا في الجزائر بل في باريس لأنني مصمم على استطلاع ما يجري في باريس وفي أوساطها السياسية من برلمان وأحزاب وغيرها، وعلى التعرف على سر الأجهزة الإدارية والحكومية[2].

وفي باريس تزوج بورقيبة بأرملة جندي فرنسي ماتيلدا وهي تكبره بـ 12 سنة وأنجب منها ابنه الوحيد " الحبيب الابن " وفي سبتمبر 1926م وهو في عطلة في تونس توفي أبوه وحضر جنازته ثم عاد إلى باريس لاستئناف الدراسة ثم دخل المدرسة الحرة للعلوم السياسية وبذلك يكون بورقيبة قد جمع بين علم النفس والحقوق والفلسفة والعلوم السياسية ثم علوم الصحافة، وبعد حصوله على الإجازة في الحقوق عاد إلى تونس ليمارس مهنة المحاماة وظل يشتغل في هذه المهنة وفي نفس الوقت يمارس السياسة والنشاط الصحفي[3].

03–وفاته: توفي في 6 أبريل 2000م، منع زين العابدين بن علي الرئيس التونسي وقتها نقل جنازته مباشرة على التلفاز، كما رفض عرض شريط فيديو يروي حياته إلى جانب رفضه لحضور وسائل الإعلام الأجنبية وشخصيات عالمية كانت مقربة من بورقيبة مراسم الجنازة، دفن في مسقط رأسه في مدينة المنستير.

---

[1]– السعيد الصافي، المرجع السابق، ص 46.

[2]– عز الدين معزة: فرحات عباس والحبيب بورقيبة ، 1999–2000، دراسة تاريخية وفكرية، مقاربة، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتما عية . جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 ، ص 16.

[3]– شايب قدادرة: الحزب الدستوري وحزب الشعب الجزائري 1934– 1954 ، دراسة مقارنة، أطروحة لنيل درجة دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007 ، ص 159.

المطلب الثاني: وظائفه وتوجهاته السياسية

كان لبورقيبة عديد الوظائف التي تقلدها نظير توجهاته السياسية و توجهه العلمي و السياسي الذي أدى إلى ظهوره على عديد الشخصيات السياسية المهمة في عصره.

01–الوظائف والمسؤوليات: إشتغل بالمحاماة والصحافة، ففي عالم الصحافة كانت بداية عهده تعود إلى عام 1930م حيث كان ينشر مقالات صحافية في جريدة "اللواء التونسي[1]" ثم جريدة " الصوت التونسي[2] " ونظرا لنشاطه الصحفي رفقة زملائه في جريدة الصوت التونسي أحالتهم السلطات الاستعمارية على العدالة، وفي 1 نوفمبر 1932م أسس رفقة أعضاء هيئة تحرير الصوت التونسي جريدة "العمل التونسي" (l'action tunisienne)[3]، سارت هذه الجريدة سيرا طيبا وكان أول مقال كتبه في عددها الأول بعنوان " الميزانية التونسية" قبل أن يتولى عام 1957م رئاسة الجمهورية التونسية[4].

02–أفكاره وتوجهاته السياسية: كان للحبيب بورقيبة توجهات سياسية تتميز بالوطنية الشديدة والعمل على تحقيق الاستقلال التام لتونس. كان يرى في الاستعمار الفرنسي تضييقًا للحريات وتهديدًا للهوية التونسية، لذا سعى إلى تحقيق الاستقلال التام عن طريق المفاوضات والعمل السياسي.

في يوم 12 ماي 1933م كان مؤتمر الحزب الأول " نهج الجبل " حضره بورقيبة وخطب فيه حيث دعا إلى ضرورة استعمال طرق جديدة واللجوء إلى رجال جدد لمكافحة الاستعمار لأن العمل الذي تقوم به اللجنة التنفيذية في تلك الفترة لن يجدي نفعا، وعوض أن يعمد أعضاء

[1]– هي صحيفة تونسية تاريخية كانت تصدر باللغة الفرنسية، وهي أول صحيفة تونسية تصدر باللغة الفرنسية. تأسست سنة 1907 وكانت تصدر عن حركة الشباب التونسي.

[2]– هي جريدة سياسية تونسية أسست عام 1932، وتعتبر لسان حال الحزب الدستوري الحر. كانت موالية للحزب الحر الدستوري تاريخياً، والآن تتبنى الموروث الإعلامي الدستوري بـ "بعث صوت التونسي الحر".

[3]– جريدة "العمل التونسي" هي صحيفة تونسية تأسست عام 1932 من قبل الحبيب بورقيبة. كانت الصحيفة، التي كانت تصدر باللغة العربية، تهدف إلى دعم الحركة الوطنية التونسية في مواجهة الاحتلال الفرنسي.

[4]– السعيد الصافي ،المرجع السابق، ص 50.

اللجنة التنفيذية للحزب إلى طرد الحبيب بورقيبة من الحزب فقد أقترحه الجميع كعضو جديد في اللجنة التنفيذية رفقة زملائه في هيئة تحرير جريدة العمل التونسي.

وفي 9 سبتمبر 1933م قدم استقالته من اللجنة التنفيذية مقدمًا النصيحة لزملائه في جريدة العمل التونسي بالاستقالة مثل محمود الماطري ،وفي 2 مارس 1934م استطاع بورقيبة رفقة رفاقه عقد مؤتمر قصر الهلال التاريخي والانفصال عن اللجنة التنفيذية نهائيا مشكلا عوضها الديوان السياسي ومنذ هذا التاريخ يظهر الحزب الدستوري الجديد برئاسة محمود الماطري وكاتبه العام الحبيب بورقيبة [1]

سجن عدّة المرات في أماكن مختلفة منها برج الجوف بجنوب تونس في 4 سبتمبر 1934م وسان نيكولا بمرسيليا ثم بروما، كان الحبيب بورقيبة أثناء الحرب العالمية الثانية ورغم المعاملة الخاصة التي لاقاها في المعتقل من قبل دول المحور إلا أنه أبدى بعض الميول نحو الحلفاء على أساس المثلث الديمقراطي والأهداف التحريرية التي ادّعوها وفي نهاية الحرب شرع بورقيبة في انتهاج سياسة جديدة علها تجدي نفعا وتدفع بالقضية التونسية نحو التقدم وذلك بالاتجاه نحو المشرق العربي حيث سيعقد هناك اجتماع لتأسيس جامعة الدول العربية من القاهرة، ولابد أن تكون القضية التونسية من بين نقاط جدول أعمالها.

ثم اتجه بعد رحلة شاقة وطويلة إلى القاهرة دامت 22 يومًا من 26 مارس 1945م إلى 16 أفريل 1945م وخلفه على قيادة الحزب صالح بن يوسف الأمين العام للحزب رفقة بقية أعضاء الديوان السياسي وهم: المنجي سليم، الهادي نويرة، وعلي البلهوان والدكتور سليمان بن سليمان وفي القاهرة كانت لبورقيبة عدة نشاطات واتصالات مكثفة سواء بمندوبي الدول العربية في الجامعة العربية أو بسفراء أمريكا وفرنسا وخاصة بالسفير العراقي الذي كان له سندًا قويًا وقدم له الدعم الكبير وساعده على القيام بزيارة دول المشرق العربي كالأردن والسعودية ثم عاد إلى القاهرة[2].

[1] – شايب قدادرة ،المرجع السابق،ص161

[2] – نفسه، ص ص 162-163.

وفي ديسمبر عام 1949م قرر بورقيبة العودة إلى تونس مقتنعًا بأن النضال الحقيقي يجب أن يكون على أرض الوطن، فعاود الكرّة بتحقيق أمنيته القديمة وهي التفاهم مع الفرنسيين مباشرة، وفي أفريل 1950م ذهب إلى باريس لهذا الغرض ولكن الصعوبة التي كان يصطدم بها دائما هي استمرار السياسة الفرنسية على عدم الاعتراف بشرعية الحزب الدستوري الجديد منذ أن حل عام 1938م.[1]

وفي 15 أفريل 1950م سلم لوكالة فرانس براس النقاط التي تلخص أهم المطالب التونسية وهي:

- بعث السلطة التنفيذية التونسية.
- تشكيل حكومة تونسية يرأس اجتماعاتها عاهل البلاد.
- إلغاء الكتابة العامة للحكومة الفرنسية.
- إلغاء المراقبين المدنيين.
- إنشاء بلديات منتخبة مع تمثيل المصالح الفرنسية حيثما توجد جاليات فرنسية.
- إحداث مجلس وطني تأسيسي منتخب بالاقتراع العام.

رفض المستوطنون الفرنسيون المتفوقون هذه المطالب وضربوا بها عرض الحائط وعملوا على إبقاء الحزب الجديد خارج القانون لأنه منحل وتمت متابعة قادته ورؤساء الشعب الدستوري، واتهموهم بالتآمر على أمن الدولة[2]، وفي أوائل 1952 عاد بورقيبة من باريس إلى تونس ودعا الشعب التونسي للكفاح حتى النهاية، وبمجيء المقيم العام الجديد جون دي هوتكلوك شرع في ترهيب وتضييق الخناق على الحزب الجديد وفي 18 جانفي ألقي القبض على الحبيب بورقيبة وأبعد إلى طبرقة وعلى عدد من الدستوريين بين قرابة 150 دستوري[3].

[1]– قدادرة شايب: المرجع السابق ، ص164.

[2] – قصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر، 1881–1956، تع: حمادي ساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986،ص ،ص 612،614.

[3]–قدادرة شايب ،المرجع نفسه، ص 164.

وفي أول جوان 1955م عاد بورقيبة إلى تونس بعد سنوات طويلة قضاها في المعتقل وفي المنفى حيث قدم عن طريق البحر عبر باخرة "مدينة الجزائر" القادمة من مرسيليا ونزل في ميناء حلق الواد رافعا يداه ملوحًا بمنديل أبيض تحية لشعبه وهو يكفكف دموعه فاهتزت مشاعر مستقبليه، وفي نوفمبر 1955م عقد الحزب الدستوري الجديد مؤتمر في صفاقس وانتصر فيه بورقيبة وتوسعت دائرة الصراع حتى شملت رفقائه الأوائل أمثال:

البحري قيقة والطاهر صفر، وسليمان بن سليمان، ومحمود الماطري والشاذلي الخلادي... الذين اتفقوا على الاستقلال إلا أنه لم تكن لهم الجرأة السياسية في نظر بورقيبة فانتقدهم في خطبة[1].

ولم تلق أفكار الحبيب بورقيبة قبولا عند المحافظين الدستوريين، لذا قام بورقيبة كما ذكرنا في نوفمبر 1932 رفقة مجموعة من أنصاره بإصدار الجريدة الجديدة بعنوان العمل التونسي[2].

وإلى جانب هيامه بالسلطة كان لبورقيبة هيام آخر هو غرامه بوسيلة زوجته الثانية التي التقت به لأول مرة في 12 أفريل 1943 حين جاءت لتهنئه بإطلاق سراحه بعد خمس سنوات قضاها في المعتقل، وفي جانفي 1954 بعثت فرنسا إلى بورقيبة تحت ستار المعالجة طبيبا فرنسيا مرفوقا بمرسال تونسي كان يعمل بباريس بديوان وزير الداخلية الفرنسي، وترجوه فرنسا في المقابل أن يساند باي تونس في إصلاحاته، لكنه رفض معلنا عن الفرق بين حياته الخاصة والعامة[3].

[1]– قدادرة شايب ، المرجع السابق، ص 167.

[2] - الطاهر بلخوجة: الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، الدار الثقافية للنشر ، ط1، القاهرة، 1999م، ص ص 11 –12.

[3]- Jean François Martin , Histoire de la tunisie comtemporaine, de Ferry à Bourrguiba (1881- 1956), L'harmattan, p19.

-في 1جوان 1955م عاد بورقيبة إلى تونس ولقيّ استقبالا شعبيا كبيرا ،ووقّع مع فرنسا في 3جويلية 1954معاهدة تمنح تونس استقلالها الداخلي .فعارض رفيقه صالح بن يوسف (الأمين العام للحزب الحر الدستوري الجديد)هذه المعاهدة ،ووصفها بالرجوع إلى الوراء.

- وفي 20مارس 1956 وقّع على وثيقة الاستقلال التام ،وواصل بورقيبة تألقه حيث أصبح وزيرا أولا ، وشرع في التخطيط للإنقلاب على الأمين باي .

-وفي 25جويلية 1957م نجح في الإنقلاب وألغى الملكية بخلع الملك محمد الأمين باي وأعلن تونس دولة جمهورية وا'ختير كأول رئيس لها [1].

[1] -الصافي السعيد ،المصدر السابق ،ص 203

المبحث الثاني: موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية 1946–1965

استذكر باحثون وصحافيون وسياسيون فاعلون في الدول العربية، بعد توقيع اتفاق أوسلو في سنة 1993 بين الفلسطينيين والإسرائيليين، وخصوصاً بعد ما آلت إليه أمور القضية الفلسطينية، بشيء من الحسرة، المبادرة التي كان قد طرحها سنة 1965 الرئيس الأسبق للجمهورية التونسية، الحبيب بورقيبة لحل القضية الفلسطينية، وذهبت أغلبية التحاليل آنذاك إلى القول إن مبادرة بورقيبة كانت بدفع من أوساط غربية وصهيونية وبدعمها، وكان ذلك أحد أهم الأسباب التي دفعت إلى اتهامه بالعمالة ونعته بأشنع النعوت.

والواقع أن الكتابات والمواقف، آنذاك، اختزلت في معظمها المبادرة في مقولة واحدة هي دعوة بورقيبة العرب والفلسطينيين تحديداً إلى الاعتراف بإسرائيل، من دون اهتمامها بالقضايا الأُخرى التي كان طرحها بورقيبة في خطابه وفي الندوات الصحافية التي كان عقدها في القدس وبيروت وتونس[1].

المطلب الأول: اهتمام بورقيبة بالقضية الفلسطينية قبل استقلال تونس السياسي

إن اهتمام بورقيبة بالقضية الفلسطينية مر بعدة مراحل تماشت ومساره السياسي.

01– بورقيبة والقضية الفلسطينية قبل 1956م: يرجع اهتمام بورقيبة بالقضية الفلسطينية، والقضايا المرتبطة بها، إلى مرحلة التحرر الوطني، إذ فرض تطور نشاط الحركة الصهيونية في البلاد التونسية على الحركة الوطنية التونسية مواجهته فكرياً وميدانياً. وكان على بورقيبة– باعتباره المسؤول الأول عن الحزب الحر الدستوري، الديوان السياسي– أن يحدد موقفه من تلك المسألة وقد انتقل موقفه، خلال هذه المرحلة، من إدانة المشروع الصهيوني قبل اعتراف الأمم المتحدة بإسرائيل، إلى التعامل مع الأطراف الصهيونية العالمية عند بداية الخمسينيات[2].

[1]– الحبيب بورقيبة، "تونس وقضية فلسطين" (تونس: كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، 1966)، ص 201.

[2] –الهادي التيمومي ،النشاط السياسي بتونس 1897–1948،دار محمد علي الحامي ،ط2،2001، ص54.

ميز بورقيبة بين الصهيونية باعتبارها مذهباً سياسياً، وبين اليهودية كدين سماوي. وأبرز طبيعة المشروع الصهيوني الذي يسعى لاحتلال الأرض ويصدم "تطلعات العرب في فلسطين وبطريقة غير مباشرة مشاعر التضامن التي يكنها لهم مسلمو العالم."[1] كما أوضح بورقيبة، من جهة أُخرى، طبيعة العلاقة التي تربط التونسيين بالفلسطينيين والتي تستمد جذورها وشرعيتها، في رأيه، من "وحدة اللغة والدين"، في حين أن ما يربط صهيونيي تونس بصهيونيي إسرائيل إنما "ينطلق من وحدة الوطن المزعومة."[2] ويبدو أنه كان من العرب القليلين، كي لا نقول الوحيد، الذي تحدث عن الصهيونية غير اليهودية منذ الثلاثينيات من القرن الماضي. إذ بيّن أن "الأغلبية الساحقة من اليهود ليسوا صهاينة كما أن أعيان الصهاينة ليسوا يهوداً"[3] بالضرورة، وأبرز في مقدمة المذكرة التي صاغها وقدمها إلى لجنة **الأنغلو – أميركية** في آذار/مارس 1946 ،باسم حركات التحرر في المغرب العربي[4]،العوامل التي تقف وراء تأييد شعوب تلك المنطقة للفلسطينيين[5]، كما أكد طبيعة العلاقات القديمة، الطيبة، بين اليهود والعرب على مر التاريخ ، وحمّل مسؤولية ما تعرضت له الجماعات اليهودية في العالم من ويلات إلى الحركة الصهيونية التي وصفها بأنها "حركة عنصرية" وذلك لادعائها أن اليهود "شعب الله المختار"، الأمر الذي "جلب لليهود الويلات". وشبّه بورقيبة ادعاء زعماء الحركة ذاك بأحلام النازيين، إذ"لا يختلف شأنهم عن شأن الزعماء النازيين الذين تغالوا في الطموح وانساقوا مع الخيال إلى إقامة ما أسموه بنظامهم الجديد"، كما طالب بـ "اقتلاع جذور الصهيونية من قلوب اليهود"،وأكد "تشابه الأهداف والوسائل الاستعمارية بفلسطين وبالشمال الإفريقي "[6].

---

[1]- Après les incidents du Colisé MISE AU POINT," L'Action Tunisienne, no. 241, .11/1/1938, pp 1-3.

[2]-Ibid.

[3]-Ibid.

[4]–عبد اللطيف الحناشي، موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية (1946م–1956م)، **مجلة الدراسات الفلسطينية**، مج 18، ع 69، 2007، ص 52.

[5]–الحبيب بورقيبة، "تونس ....."، المصدر السابق، ص ص 23–26.

[6]– المصدر نفسه.

وقد عرف موقف بورقيبة من الحركة الصهيونية تحولاً بعد "النكبة"[1] وقيام الدولة الصهيونية وتوقيع الدول العربية المعنية اتفاقيات الهدنة مع إسرائيل، وهو ما فهم على أنه اعتراف رسمي من تلك الدول بالدولة الجديدة[2]. ويظهر أن بورقيبة استسلم للواقع الجديد الذي أفرزته "النكبة"،وخصوصاً أن بريق القضية الفلسطينية خفت نسبياً لدى التونسيين. وانتقلت مراهنة الحركة الوطنية التونسية إلى الخارج في اتجاه الاعتماد على الولايات المتحدة والمنظمات الشعبية والإنسانية والسياسية في الغرب[3]، وذلك بعد "يأسها" من دور محتمل للجامعة العربية، بالتوازي مع ما عرفته الحركة الوطنية من ديناميكية جديدة بأفق سياسي مفتوح. فلم تعد الحركة تكتفي بقبول أو رفض المشاريع السياسية الفرنسية فحسب، بل أيضاً أخذت بدورها تبادر وتطرح البدائل وخصوصاً مطلب الاستقلال مستغلة الأوضاع السياسية العالمية الجديدة ومتفاعلة معها، الأمر الذي أعطى خطابها أبعاداً جديدة في فهمها وتعاملها مع القضايا الوطنية والعربية والعالمية.

في المؤتمر الخامس للحزب الدستوري، الديوان السياسي، الذي عقد في مدينة صفاقس بتاريخ 15 تشرين الثاني/نوفمبر 1955، فقد انتُخب أندري باروش[4] عضواً في اللجنة المركزية للحزب وحصل على المرتبة الرابعة في الانتخابات التي جرت في اليوم الأخير من المؤتمر.

ولا شك في أن وجود تونسي من أصل يهودي في اللجنة المركزية للحزب تعد مجازفة كبرى من جانب بورقيبة الذي كان يواجه معارضة شديدة من أعضاء الأمانة العامة للحزب بقيادة الزعيم صالح بن يوسف[5]، الذين أطلقوا ضده اتهامات حادة أقلها عمالته للغرب ولفرنسا

---

[1] – أنظر الملحق رقم 04، ص 94.

[2]– محمود رياض ، مذكرات (1948 -1978)، جزآن، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، ج1، 1987، ص ص 16-17.

[3]-Sliman Ben Sliman, Souvenirs politiques (Tunis: Cérès production, 1989), p 272.

[4]-Samuel Merlin, Guerre et paix au moyen orient: Le défi de Bourguiba, tr : Paul Chwat. éd. Denoël, 1970, pp. 245, 414.

[5]–عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص 03.

تحديداً، وهو المتهم أصلاً منذ الثلاثينيات من القرن الماضي بتعامله مع الحركة الصهيونية[1]. والواقع أن وجود تلك الشخصية اليهودية في اللجنة المركزية للحزب لم يكن يتلاءم والحجم الفعلي لليهود التونسيين في الحزب، ويظهر أن وجود **أندري باروش** في تلك الهيئة الحزبية العليا كان يمثّل موقفاً رمزياً اعتمده بورقيبة ليبين مدى حرصه على تمثيل الأقلية اليهودية في الهيئة العليا للحزب، كما أنه يحمل رسالة تتضمن تطميناً للجهات التي يعنيها مستقبل اليهود في تونس، ولتأكيد هذا النهج أكثر ضمت حكومة الطاهر بن عمار التفاوضية (1955/9/17م – 1956/4/15م)، المدعومة من الديوان السياسي، وقد أوضح بورقيبة أن وجود وزير يهودي في الحكومة التونسية يفند التعللات التي ادعاها الاستعمار وفحواها أنه إذا خرجت فرنسا واستقلت تونس فإن أمن اليهود يصبح مهدداً، غير أن العكس هو الذي حدث[2].

المطلب الثاني: موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية والقضايا المرتبطة بها، 1956م – 1964م.

حافظ بورقيبة على موقفه من الأقلية اليهودية في البلاد بعد الاستقلال، إذ ظل يعتبرهم مواطنين تونسيين. فقد شارك هؤلاء في انتخابات المجلس التأسيسي التي جرت يوم 1956/03/25م، وترشح أحد أفراد النخبة اليهودية على قائمة "الوحدة الوطنية" بقيادة الحزب الدستوري، الديوان السياسي،ونجح، وكان يؤكد ضرورة وضع حد للدعاية الصهيونية في الأوساط اليهودية في البلاد.

01–موقفه من الأقلية اليهودية في تونس، ومن دولة إسرائيل: عند استقبال بورقيبة مجموعة من الطلبة التونسيين مسلمين ويهود، الدارسين في تونس وباريس، خاطب الطلبة اليهود قائلاً: "أنا لا أميّز بين التونسيين والإسرائيليين في بلادنا ولكني لا أريد أن أسمع حديثاً عن

[1]– هذه الاتهامات وجهها أنصار الحزب الدستوري – اللجنة التنفيذية – بعد أحداث الكوليزي في تونس العاصمة.

[2]– الحبيب بورقيبة، "الخطب" (تونس: كتابة الدولة للأخبار، 1974)، الجزء 01، خطاب مؤرخ في 1955/12/11، ص ص 64 -65،

الصهيونية."[1]وإدراكاً من بورقيبة بارتباط قطاع واسع من هذه الجماعات بالدولة الصهيونية اتخذ بعض الإجراءات التي كانت تهدف، على ما يظهر، إلى تقليص نفوذها، إذ تم حل الفدرالية الصهيونية في تونس خلال سنة 1956م في الوقت الذي أعلن إيقاف البرنامج الأسبوعي "صوت إسرائيل" واستبداله ببرنامج آخر سريعاً ما حذف بدوره. وبمناسبة تجوّله في إحدى الحارات اليهودية في العاصمة خلال شباط/فبراير 1957م زار بعض مؤسساتهم ومنها المحضنة التابعة لمنظمة إسعاف اليهود، والمركز الصحي للمنظمة، ومدرسة الرابطة الإسرائيلية العالمية للفتيات. وفي رد بورقيبة على الكاتب العام للمحضنة، التي كانت تتلقى مساعدات مباشرة من المنظمات اليهودية الصهيونية الأميركية، لاحظ أن "ذلك قد يخلق حواجز سميكة ويوسّع من الهوة بين الطرفين"، (وأردف قائلاً: "أعدكم بأن حكومتي ستعمل من أجل الأطفال اليهود تماماً كما تفعل من أجل الأطفال المسلمين." ويظهر أن بورقيبة، كما بيّن ذلك أحد الباحثين، كان يشير إلى "مسألة سيادة الدولة و وظيفتها"[2].

وبالتوازي مع ذلك، تواصلت علاقة الرئيس الحبيب بورقيبة بالمؤتمر اليهودي العالمي،فقد استقبل يوم 18 تموز/يوليو 1957م السكرتير السياسي لهذا المؤتمر. ومن القضايا التي بحث فيها الجانبان كانت مسألة هجرة يهود تونس إلى إسرائيل، إذ أكد بورقيبة لضيفه "حق اليهود المطلق في الهجرة إلى إسرائيل،وأن هذا الأمر سوف يستمر"[3]. ويظهر أن السكرتير السياسي ذكّر بورقيبة بلغة دبلوماسية بوعوده السابقة وأنه:" يعول عليه كأهم رجل دولة ديمقراطي في إفريقيا الشمالية وحتى في العالم العربي لممارسة تأثيره لتحقيق السلام في الشرق الأوسط"[4]. والواقع أن مثل هذه الانطباعات محبذ جداً لدى بورقيبة الذي لا يتوانى في إبراز تميزه وفرادته، وخصوصاً إن تعلق الأمر بمقارنته بالرؤساء العرب.

---

[1]- عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص 03.

[2]-Habib Kazdaghli, "Bourguiba et la communauté juive de Tunisie au lendemain de l'indépendance," in actes du IIe congrès sur: Bourguiba, le Bourguibisme et la construction de l'Etat National, pp. 55-67.

[3]- عبد الجليل التميمي، "دراسات في منهجية الحكم والسياسة البورقيبية" ،منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس،2007 ، ص 59.

[4]- عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 51

كان حديث بورقيبة، خلال هذه المرحلة، عن إسرائيل والصهيونية وقضية فلسطين محدوداً، لكن شديد العمق ويتناقض، في الواقع، مع المهمة التي آل على نفسه القيام بها، إذ شدد على قضايا أساسية تطعن في شرعية الدولة الصهيونية ذاتها منها[1]:

أ–الجوهر الاستعماري للدولة الصهيونية: إن إسرائيل،وفق رأي بورقيبة، دولة فرضت وجودها بالقوة وسمحت لنفسها بأن تحل محل شعب لم يحمل في الماضي مشاعر العداء لليهود، واستندت في ذلك إلى معطيات تاريخية غير دقيقة، ولذلك فهي تمثل أحد أشكال الاستعمار[2]. كما بيّن بورقيبة أن الظاهرة الاستعمارية الصهيونية تميزت من بقية الظواهر الاستعمارية الأُخرى بأنها استئصالية:" ليست قضية هيمنة شعب على شعب آخر بل إنها في هذه الحالة الخاصة قضية إحلال شعب محل شعب آخر"[3]، وأوضح أن المأساة في فلسطين قد تكون "أشنع وأفظع مما هو الحال في جنوب إفريقيا لأن هدف الاستعمار الصهيوني هو الاستحواذ على البلاد كلها وطرد البقية الباقية من سكانها الأصليين."

ب– البعد الأخلاقي: بيّن بورقيبة أن دولة إسرائيل تأسست سنة 1948م على "أنقاض العدالة واحترام حقوق الإنسان.وتشريد الشعب الفلسطيني من دياره والحكم عليه بأن يعيش حياة الذل والشقاء في الغربة والالتجاء.. لقد أُفسح المجال لأفظع هيكل بني على الإفك والبهتان"[4]، وهو ما يمثل إدانة صريحة للأمم المتحدة التي أعطت إسرائيل بطاقة الولادة. كما قد يجد مضمون هذا الخطاب، بمنزعه الأخلاقي والإنساني، وقعاً معيناً لدى الأوروبيين وخصوصاً لدى الأفارقة الذين خرجوا لتوهم من الاستعمار وخبروا ويلاته ويتوقون إلى مساعدة الشعوب المولىّ عليها.

ت– المشروع الصهيوني مشروع أوروبي: حمّل بورقيبة الدول الأوروبية مسؤولية ما حدث للجماعات اليهودية في القارة، واستطراداً حمّلها مسؤولية إنشاء الدولة الصهيونية وتداعيات ذلك على الشعب الفلسطيني، وهو ما يعني ضرورة سعيها لإيجاد حلول سياسية ناجعة لمعاناة

---

[1]-Jean-Paul Chagnollan,op.cit, p. 106.

[2]– الحبيب بورقيبة ،" تونس ...." ،المصدر السابق، ص ص 35-36.

[3]– المصدر نفسه، ص 32

[4] –المصدر نفسه، ص ص 39-40.

هذا الشعب. ففي الوقت الذي أكد بورقيبة معاناة اليهود وآلامهم ولا سيما" في أوروبا الوسطى والشرقية " في العصور الحديثة، بيّن في المقابل أن ذلك لا يمكن أن يكون سبباً في إخلاء أوروبا من "الفئات اليهودية التي نجت من المغامرات الهتلرية وإقرارها بالقوة في البلاد الوحيدة التي لم تضطهد اليهود البتة"، واعتبر أن ما حدث "مظلمة" تتحمل أوروبا مسؤوليتها،وبالتالي كان يتعين عليها، في رأيه، إيجاد حل يكون "أقل ظلماً يكفل وضع حد لآلام شعب إسرائيل وبؤسه وتقتيله على أن يكون مغايراً للحل الذي اختير أخيراً في فرض دولة إسرائيل في منطقة يعيش فيها سكانها منذ ألفي سنة." وكان بورقيبة يدرك استحالة حصول الفلسطينيين على جميع حقوقهم، لا نتيجة اختلال موازين القوى بين طرفي الصراع فحسب، بل أيضاً نتيجة الالتزام السياسي والأخلاقي للعالم الغربي والاتحاد السوفياتي ودول الكتلة الشرقية باستمرار إسرائيل في الوجود والحفاظ على كيانها[1]. كما أعطى بورقيبة المسألة بعداً إنسانياً بقوله إن ذلك "يؤلمنا مثلما نتألم لو اختير عوضاً عن فلسطين قطر آخر من **اللوكسمبورغ** أو جزيرة **مايوركا** أو **مدغشقر** ليطرد منه سكانه ويحل محلهم سكان آخرون"[2]. أي أن موقفه لا ينبع من منطلقات قومية كونه عربياً ينحاز إلى الفلسطينيين، وإنما هو نابع من خلفية إنسانية وسياسية تحديداً. والأكيد أن تصوره انطلق من تاريخ البلاد العربية ومنها تونس باعتبار أن اليهود كانوا يعيشون في تناغم تام مع السكان المسلمين العرب منذ عصور الإسلام الأولى.

ث– قضية اللاجئين: كان بورقيبة يعتقد أن حماسة العرب اللفظية التي استمرت سبعة عشر عاماً تجاه قضية اللاجئين لم تؤد إلى أي نتيجة إيجابية. لذلك دعا إلى ضرورة الرجوع إلى الشرعية الدولية، وإلى توصية الأمم المتحدة في سنة 1948 التي نصت على تيسير عودة اللاجئين إلى وطنهم، وأكد ضرورة المطالبة بذلك، وكان يعتقد أن اعتراف العرب بما قررته الأمم المتحدة من إنشاء دولة إسرائيل سيبرهن على احترام تلك الدول لقرارات الأمم المتحدة، بعد

[1]– نلاحظ عدم ذكر بورقيبة دور الولايات المتحدة في تأسيس إسرائيل ومساعدتها، وبالتالي مسؤوليتها. قد يكون ذلك بسبب العلاقة المتينة التي تربط تونس بها وسوء العلاقة بفرنسا آنذاك، وربما يكون الأمر محاولة منه لتحييد الولايات المتحدة الأميركية!

[2]–الحبيب بورقيبة، "تونس ...." ،المصدر السابق، ص ص 35-36.

أن تمكنت الدعاية الصهيونية من تشويه صورة العرب وقضيتهم. واستطراداً سيسمح ذلك بإمكان عودة اللاجئين الفلسطينيين واستعادة جزء من أراضيهم التي طردوا منها. أمّا اليهود، فسيكسبون من ذلك انطفاء جذوة ما أثاروه من أحقاد.

كذلك كان يرى أن تطبيق مقررات الأمم المتحدة، بما فيها قرار التقسيم، سيمكّن الفلسطينيين من الحصول على مساحة شاسعة من الأراضي التي صادرتها إسرائيل، كما سيسمح بعودة اللاجئين، لأن هذه القرارات مترابطة وضرورية لإقرار التوازن. وفي حال إقرارها ستضمن للعرب كسباً مهماً يفوق الأرض والمدن التي يتم استرجاعها، لا إذ سيصبح في الإمكان إعادة اللاجئين وإقامة وضع يسوده التوازن لفائدة العرب والفلسطينيين بصورة خاصة، كان بورقيبة يدرك أن هذه المساومة لن تقبل إسرائيل بها، إذ إنها لم تتعود الخضوع لمقررات الأمم المتحدة. غير أن موقفها ذاك، ومن حيث لا تريد، سيعزز موقف الدول العربية التي ستظهر، في نضالها من أجل فلسطين، في موقف المدافع عن قرارات الأمم المتحدة ومبادئها[1].

02– طبيعة القضية الفلسطينية وتصورات بورقيبة لحلها: اعتبر بورقيبة أن أصل المشكلة إنما يتمثل في وجود إسرائيل بالذات[2]، وأن قضية فلسطين هي قضية تحرر وطني، وليست قضية بين عرب ويهود فحسب، بل أيضاً قضية شعب انتزعت بلاده من أيديه بالقوة و"الاستبداد ليحل محله أناس نزحوا إليها من أصقاع متباينة ولا تربط بينهم إلاّ العصبية العنصرية والحمية الدينية"[3].

وصف بورقيبة قرار التقسيم، الذي صدر عن الأمم المتحدة، بأنه "مظلمة ويخلو من الشفقة والرحمة.. وذهب ضحيةً الآلاف من البشر أُجلوا عن أوطانهم وديارهم"[4]. وأضاف أنه كان يتعين على الأطراف المعنية إيجاد حل أقل ظلماً، في رأيه، يكفل وضع حد لآلام شعب إسرائيل وبؤسه وتقتيله على أن يكون "مغايراً للحل الذي اختير وتمثل في فرض دولة إسرائيل في منطقة

[1]– عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص 05.

[2] –المرجع نفسه، ص 34.

[3]– الحبيب بورقيبة ، "تونس ....."، المصدر السابق، ص 39.

[4]–الحبيب بورقيبة، "الخطب"، المصدر السابق، ج 12، ص 289.

يعيش فيها سكانها منذ ألفي سنة بحجة أن الحياة أصبحت مستحيلة بالنسبة لليهود في ألمانيا وفي النمسا"[1]. فما هي الحلول التي اقترحها بورقيبة لحل القضية في هذه المرحلة؟

انتقد بورقيبة الطريقة التي اعتمدها القادة العرب في معالجتهم القضية الفلسطينية منذ سنة 1948م وحمّلهم مسؤولية كل ما حدث،واعتبر أن معالجتهم تلك كانت "بشكل أحمق أو أخرق ولم يهتموا بالمستقبل. "ولم يكن " لديهم لا تخطيط ولا منهج، لقد وظفوا القضية الفلسطينية أو الفلسطينيين بطريقة أنانية ويمكن أن أقول بطريقة إجرامية[2]". وعلى الرغم من الصواب النسبي لهذا التقويم فإن بورقيبة أغفل دور كل من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا في مساندة إسرائيل ومسؤوليتهما عما آلت إليه الأمور في فلسطين والمنطقة عامة. وقد يرجع ذلك إلى متانة العلاقة بين تونس وتلك الدول والرغبة في الابتعاد عن كل ما يشوش هذه العلاقة. وانطلاقاً من توصيف بورقيبة لطبيعة القضية الفلسطينية، باعتبارها قضية استعمارية، طرح خطة للنضال تعتمد عدة نُهج:

- يقوم النهج الأول على الدعوة إلى وضع المشكل في إطاره الحقيقي، أي فلسطين، ويترتب على ذلك رفع وصاية الأنظمة العربية عن القضية الفلسطينية[3]. وقد بينت التجربة، في رأيه، أن ذلك عقّد القضية ولم يساعد في إرجاع الحقوق للفلسطينيين:"... فالقضية إذن ليست منحصرة في نزاع بين إسرائيل والدول العربية باعتبارها معنية باختلال التوازن في هذه المنطقة بل نعتقد أن وضع المشكل بهذه الصورة لم يساعد على تقريب ساعة الخلاص بالنسبة إلى إخواننا الفلسطينيين. فمنذ 1948م والدول العربية لا شغل لها إلاّ إسرائيل وتحرير فلسطين من ربقة إسرائيل ولم تفلح في ذلك"[4]. وكان هدف بورقيبة أن يتحول الصراع من مجرد نزاع بين دول متجاورة–كما حاولت إسرائيل دوماً إبرازه– إلى كفاح شعب احتُلت أرضه وانتزعت من جانب عصابات قادمة من أصقاع أُخرى مدعومة من الدول الكبرى، ولا يختلف موقف

[1]–الحبيب بورقيبة "تونس ....."، المصدر السابق، ص ص 35–36.

[2]– المصدرنفسه، ص 52.

[3]– المصدر نفسه، ص 39.

[4]– المصدر نفسه، ص 41.

بورقيبة هذا، جزئياً، عن موقف العديد من الفصائل الفلسطينية، وخصوصاً موقف حركة "فتح"، بل حتى موقف منظمة التحرير الفلسطينية وإن اختلفت المنطلقات[1].

● أمّا النهج الثاني فيتركز على ضرورة وضع المشكلة الفلسطينية على "مسرح التاريخ" وتحويلها إلى قضية عالمية "تشغل العالم بأسره". غير أن ذلك مشروط، في رأي بورقيبة، بقيام أبناء فلسطين "برد الفعل المباشر المستمر المتواصل مهما كانت التكاليف." وتأتي دعوته تلك في الوقت الذي عرفت القضية الفلسطينية، في الفترة 1952–1965، فتوراً سياسياً في المحافل الدولية وأروقة الأمم المتحدة،وتوقف إدراج بند فلسطين في جدول أعمال الجمعية العامة[2]. وأكد بورقيبة أن هذا الأمر يتطلب أن يتحول محور المقاومة إلى أرض فلسطين، أي "في قلب المدن وعبر الصحراء وفي قمم الجبال.. ولا يظن إخواننا بفلسطين أن الأمر فوق طاقتهم فالعبرة ليست بكثرة العدد ولا بضخامة العدة بأيديهم، العبرة أولاً وقبل كل شيء بروح المقاومة وبدوام المضايقة والعبرة أيضاً بتدبير الأمور وتصريف الحوادث.[3]" كما طالب بضرورة وجود قيادة "رشيدة تتحلى بوعي كامل وروح جامحة." وبغض النظر عن الخلفيات الذاتية التي دفعت بورقيبة للحكم على القيادات العربية والفلسطينية ذات الشأن فإن قطاعاً واسعاً، من الكتّاب العرب والفلسطينيين وحتى السياسيين، كان يشاطر بورقيبة انتقاداته هذه، لكن يظهر أن الأوضاع والارتباطات كانت تمنع هؤلاء وأولئك من المجاهرة بذلك[4].

● ويقوم النهج الثالث على المطالبة بضرورة الابتعاد عن فكرة الحرب الكلاسيكية التي اعتبرها البعض الوسيلة الأمثل لتحرير فلسطين. إذ يرى بورقيبة أن الاعتماد على تلك الاستراتيجيات "قد تكون فيها إسرائيل أقوى منا جميعاً بما لديها من إمكانيات داخلية لا تدخل تحت حصر"[5]. لذلك دعا إلى إتباع طريقة شبيهة بتلك التي اتبعتها الشعوب المولى عليها لنيل

---

[1]– ماهر الشريف، "البحث عن كيان "، دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1908م-1993م، (قبرص: مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي)، 1995م، ص 511.

[2]–جلنار النمس، "القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة 1947م-1973م، قرارات ومواقف"، "شؤون فلسطينية"، العدد 97، كانون الأول/ديسمبر 1979م، ص 68.

[3]– الحبيب بورقيبة، "تونس..."، المصدر السابق ، ص 42.

[4]– المصدر نفسه، ص 41

[5]– المصدر نفسه.

استقلالها، في كل من إفريقيا وآسيا، كفيتنام أو الجزائر، والدعوة إلى "خوض صراع طويل يعبر فيه الشعب عن عزمه على مواصلة الكفاح والتضحية البالغة والاستماتة"، بحيث يوضع الغاصب، كما يقول بورقيبة، بين أمرين: "إمّا أن يقبل الصراع الطويل المنهك إلى ما لا نهاية له، –وهذا لا يرتضيه المستعمر، إذ إن هدفه الذي من أجله فرض سيطرته هو إنماء ثرواته وتوسيع الرفاهية لأبنائه–وإمّا أن يتخلى عن الميدان ارتكاباً لأخف الضررين بعد أن ييأس من الغلبة أي من استتباب الأمن لفائدته." ودعا بالتالي إلى اعتماد"المضايقة والشغب الدائم والضغط المستمر الذي يتطور في النهاية إلى العمل المباشر وحرب العصابات في الداخل"[1]. لكن هذا كله مرهون في آخر الأمر، بـ "بعث حركة المقاومة" التي يجب أن "نغذيها بصورة مستمرة فعالة وأن نحتضنها كلفنا ذلك ما كلفنا من تضحيات"[2].

03– المرحلية السياسية: ينطلق بورقيبة من كون قضية فلسطين قضية استعمارية ،وأن خصائص المشكل الاستعماري "متجمعة فيها". لذلك كان يرى أن معالجتها يجب أن تكون بطريقة شبيهة بالتي اتبعتها الشعوب التي خضعت للانتداب لنيل استقلالها، أي الكفاح المسلح إلى جانب العمل السياسي: ومن أشكاله المضايقة والشغب الدائم والضغط المستمر الذي يتطور في النهاية إلى العمل المباشر وحرب العصابات في الداخل؛أما في الخارج إلى حرب سياسية تهدف إلى عزل العدو في الميدان الدولي،وإظهاره لدى الرأي العام الدولي بما يكره أن يظهر به، وفضح كل ما يرتكبه من شنائع، ويضطر حلفاؤه إلى الابتعاد عن مناصرته شيئاً فشيئاً،وحثه في النهاية على فض المشكل بالطرق الملائمة لميثاق الإنسانية المتحضرة.

وقد شدد على ضرورة التمييز بين الحلول "المنقوصة الإيجابية الثورية" التي تساعد على السير وتزيد في قوة الكفاح وبين الحلول المغشوشة التي تعرقل السير وتوصد الأبواب وتزيغ بالكفاح عن الطرق النافذة.

حمّل بورقيبة المسؤولية لإسرائيل التي رفضت الاعتراف بدولة فلسطين،وبيّن أن العرب لم يرفضوا التسوية في البداية، وإنما حاولوا "إيجاد تسوية في نطاق الأمم المتحدة، وخالجهم الأمل في أن تتوصل الأمم المتحدة إلى تسوية القضية، غير أن إسرائيل لم تشأ احترام المقررات الأممية

[1]–الحبيب بورقيبة ، المصدر السابق ، ص ص 40–42.

[2]– نفسه .

واستندت على حق الغزو ومعلنة إنني هنا وسأبقى حيث أنا لأنني أقوى من الجميع"[1]. وكثيراً ما كانت الدعاية الصهيونية تردد أن إسرائيل قبلت التقسيم، وأن العرب رفضوا الاعتراف بذلك، وبما أنهم خسروا المعركة ولم يقبلوا التسوية، فعليهم تحمل مسؤولية مواقفهم. غير أن الواقع كان غير ذلك،فإسرائيل قبلت جزءاً مما تضمنه القرار وهو المتعلق بإقامة الدولة اليهودية، في حين رفضت بقية الأجزاء وخصوصاً تلك التي تتعلق بإقامة الدولة الفلسطينية وإنشاء المنطقة الدولية، كما رفضت وضع الدستور للدولة العبرية وتحديد حدودها. وقد أوضحت بعض دراسات المؤرخين الإسرائيليين الجدد هذا الأمر وبيّنوا أن من الأهداف الإستراتيجية للحركة الصهيونية منع قيام كيان فلسطيني مستقل[2].

المطلب الثالث: مبادرة بورقيبة سنة 1965

تبينت ملامح الرؤية التي بلورها بورقيبة لجوهر الصراع وطبيعته منذ أواسط الأربعينيات، و هو الذي أضافه في خطاب أريحا في أفكار عن المسألة.

1.خطاب أريحا: ألقى بورقيبة في آذار/مارس 1965 خطاباً في أريحا، عرف فيما بعد باسم خطاب أريحا. ويعتبر إلقاء هذا الخطاب بمضمونه، في ذاك المكان وفي تلك الأوضاع، دلالة على جرأة كبيرة من جانبه. والواقع أن بورقيبة اعتاد هذا الأسلوب "الصدامي" أو"الاستفزازي" في تونس، أمّا الفلسطينيون وقطاعات واسعة من العرب عامة فاعتادوا سماع خطابات حماسية "رنانة" مقترنة بوعود التحرير والعودة[3].

فما هي دوافع بورقيبة لخطاب أريحا ؟ وماهي ظروف طرحه ؟وماذا كان مضمونه؟

أ– دوافع بورقيبة من طرح المشروع : يشير بورقيبة إلى أن ما طرحه كان يراود"مخيلة" كثيرين من الزعماء العرب. غير أن هؤلاء كانوا غير قادرين على البوح به جهاراً، وذلك خوفاً من ردة فعل الجماهير،وخصوصاً تجنب كل ما يثير الخصومات مع القاهرة[4].

[1] –الحبيب بورقيبة ،"تونس ...."، المصدر السابق، ص 31.

[2]– بنيامين بيت هالحمي، "التاريخ يطارد الصهيونية ويلحق بها"، "الكرمل"، عدد خاص 55-56، ص 76.

[3] –الحبيب بورقيبة ،"تونس....." المصدر السابق ،ص64.

[4] – المصدرنفسه، ص 98.

وقدم بورقيبة عدة مبررات دعته إلى طرح تلك الأفكار في أريحا، من ذلك أنه لم يذهب إلى الشرق بهدف طرح أفكاره تلك،وإنما كان الأمر بدفع من "بعض الإخوان، الذين أبوا إلاّ أن يطلعونني على حالة أثارت شفقتي فقد أبيت، لما عرفت به من جدّ، أن أنساق في تيار الدجل الذي كان الإخوان الفلسطينيون ضحيته منذ عشرين سنة لم تزدهم إلاّ تعاسة"[1]، كما أن زيارته لخط النار أو خط الهدنة جعلته يقف على "وضع مؤثر لمأساة شعب طيب لم يضطهد أحداُ في حياته"[2]. وبالتالي فإن هذه المأساة هي التي– نتيجة شعوره العربي وحساسيته– "جعلتني أتألم للحالة التي وجدت عليها الإخوان الفلسطينيين"[3].

وإلى جانب هذا البعد الإنساني الذي ضغط على بورقيبة ودفعه إلى طرح مبادرته تلك، أورد بعض الدوافع السياسية، منها جهل الرئيس اليوغسلافي تيتو (صديق العرب) بطبيعة إسرائيل، إذ رفض الجانب اليوغسلافي أن يدرج في البيان الختامي ما يفيد أن إسرائيل دولة استعمارية تحتل فلسطين، الأمر الذي اضطر الوفد التونسي إلى إقرار فقرة تدين جميع أشكال الاستعمار حيثما وجد[4]، وقد أكد له هذا الموقف أن "العرب يصطدمون في قضية إسرائيل بأقرب أصدقائهم، فكوبا تعترف بإسرائيل وكذلك بقية الدول الشرقية"[5]، إلاّ إن بورقيبة أورد بعد هزيمة 1967 رواية أُخرى فحواها أنه رأى نسيج المؤامرة على مصر يتحرك قبل 5 حزيران/يونيو، فحاول التحذير من الفخ المنصوب،وأنه كان واثقاً بأن إسرائيل تحاول جر مصر إلى مواجهة عسكرية في صحراء سيناء المكشوفة[6].

قد يكون بعض المبررات التي طرحها بورقيبة صحيحاً، لكن الأكيد أن تلك المبادرة لم تكن وليدة لحظة زيارته لخط الهدنة أو رؤيته مخيمات الفلسطينيين ومعاينة آلامهم، بل إن الأفكار التي طرحها كان عبّر عنها بكل وضوح ودقة في مناسبات عديدة، كما بيّنا ذلك

---

[1]– المصدر نفسه، ص 111.

[2]– الحبيب بورقيبة، "الخطب"، المصدر السابق، ج 18 ، ص 302.

[3]–الحبيب بورقية، "تونس وقضية فلسطين"، المصدر السابق ، ص 115.

[4] –المصدر نفسه، ص 105.

[5] –المصدر نفسه، ص 106.

[6]– عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص 10.

سابقاً، لكننا نرى أن عوامل وأوضاعاً أُخرى دفعت الحبيب بورقيبة إلى طرح مبادرته من جديد في تلك السنة.

ب–ظروف طرح الخطاب:

كان بورقيبة قد وعد، منذ مرحلة التحرر الوطني، بعض المنظمات اليهودية الصهيونية أنه سيقوم بدور معين في إقناع العرب بضرورة الاعتراف بإسرائيل. وقد جدد، في لقائه مع السكرتير السياسي للمؤتمر اليهودي، التزامه السابق قائلاً:"... سوف أعمل من جانبي لتحقيق تسوية بالشرق الأوسط، غير أنه وجب عليّ السير بحذر سعياً مني لعدم منحهم الفرصة لتوظيف عداوتهم تجاهي.. ومن الصعب عليّ أن أتحرك الآن وأنا مشغول جداً بكثير من المسؤوليات والمشاكل وحلها حتى تتمتع البلاد التونسية بالاستقرار السياسي والاقتصادي"[1]. فهل نضجت الأوضاع كي يقوم بورقيبة بما وعده؟ وإن كانت الأطراف الصهيونية وراء طرح هذا المشروع، فلماذا رفضته دولة إسرائيل؟ بل اعتبرت ما طرحه بورقيبة يشكل خطراً حقيقياً على وجودها[2]، وهل تكون أطراف دولية ؟ما هي التي شجعت بورقيبة على طرح مبادرته تلك؟قد يكون هذا الأمر أقرب إلى الواقع، إذ كانت الولايات المتحدة الأمريكية تسعى لتحريك الوضع القائم،وكانت تخشى قيام حرب جديدة في الشرق الأوسط. كما أن تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية (1964/8/28م) وبالتالي إقامة بقية المؤسسات الفلسطينية، وارتباط بعض المنظمات الفلسطينية بعلاقات متميزة مع الصين والفيتنام، ثم إعلان قوات العاصفة أول عملية مسلحة لها في الأول من جانفي 1965م، كانت تلك الإنجازات كلها تؤشر إلى تحول جذري في مسار الحركة الوطنية الفلسطينية، سواء في اتجاه بناء الكيان، أو الاعتماد أكثر على القوى الذاتية الفلسطينية والانفتاح على شعوب ذات تجربة متميزة في

[1]– الحبيب بورقية، "تونس ...."، المصدر السابق، ص 106.

[2]– عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص 11.

أسلوب الكفاح المسلح،ولا سيما أن علاقة حكومات هذه الشعوب كانت متوترة مع المعسكر الغربي، الأمر الذي كان يزعج كل الأطراف الإقليمية والدولية ذات المصالح الحيوية الواسعة في المنطقة والمعنية بالصراع والتي كانت تخشى توتر الأوضاع وإمكان انفجارها

لم تكن لزيارة بورقيبة والوفد الوزاري الضخم للمشرق العربي، أهداف وطنية تونسية مباشرة وخصوصاً من الناحية الاقتصادية، إذ لا مصالح مباشرة للجمهورية التونسية في تلك الدول التي زارها بورقيبة، ولا أمل ببناء علاقة اقتصادية بينية (على الأقل في ذلك الوقت)، نظراً إلى الإمكانات المحدودة لتلك الدول والمشكلات الاقتصادية المشابهة التي كانت تعاني جراءها اقتصادياتها .[1]

ت –مضمون الخطاب:

صرّح بورقيبة في 4مارس 1965 م بالخطاب الذي نادى فيه بضرورة القبول بقرار التقسيم ومواصلة المقاومة فثارت ثائرة الحكومات العربية والقيادات الفلسطينية، ممّا جعله يتعرّض إلى المظاهرات والاحتجاجات ومحاولة الاغتيال في لبنان، وتعرّضت السفارة التونسيّة بالقاهرة للحرق فأجبر على إلغاء زيارته إلى بغداد. وكان موقفه مفاجأة مدوية لم يتصورها القادة العرب. لكن من أين أتى بورقيبة بكل هذه الشجاعة لتقديم مقترح يطرح على الفلسطينيين الاعتاف بإسرائيل والقبول بالتقسيم الذي أقرته هيأة الأمم المتّحدة وذلك في ظرفية كانت فيها الزعامات العربية تكتسب شرعيتها من خطابها الثوري والدعوة إلى المواجهة والإلقاء بإسرائيل عرض البحر؟ هذا الموقف المتهوّر حسب رأي بورقيبة لا يراعي موازين القوى وسيأخذهم حتما إلى طريق مسدود

[1]– عبد اللطيف الحناشي، المرجع السابق، ص 12.

انتهى فعلا بهزيمة نكراء في أكتوبر 1967م فكانت شجاعتهم من باب الشجاعة التي تخلف الإحباط والتقهقر. فكان الزعيم يدعو إلى التخلّي عن هذا الخطاب غير الواقعي ودون جدوى. [1]

كان على قادة الدول العربيّة مواجهة شعوبها بالحقيقة المؤلمة وضرورة مواجهة الجماهير من أجل الوصول إلى الحلول الممكنة، ألم يتوجه بورقيبة في خطابه بالقاهرة إن الكفاح يقتضي أحيانا من المسؤولين أن يغامروا «: سنة 1965م إلى القادة العرب بقوله بسمعتهم وماضيهم فيجابهوا غضب الجماهير في سبيل حلول جريئة لا تظهر نجاعتها.

كان بورقيبة يدعو القادة العرب إلى التخلّي على الخطاب المتشنّج والصادم للرأي العام العالمي من نوع رمي إسرائيل في البحر، كما يدعوهم إلى المرونة في المواقف لجلب تعاطف المجتمع الدولي مع القضيّة العادلة وإقناعه بأن الفلسطينيين هم الضحية بتعنّتنا نساهم في إعطاء صورة على: " من وجود إسرائيل على أرضهم وليس العكس إسرائيل الدولة التي تقاوم من أجل وجودها وفي حالة دفاع شرعي لا ينتهي، وبهذه الصورة رغم أننا ضحايا الاعتداء والظلم نظهر بمظهر المتسببين في الحرب ضدها، وهكذا رغم كوننا ضحية الاعتداء والظلم نقدم أنفسنا كمثيرين للحروب". [2]

وقد سافر بورقيبة الابن، وزير الخارجية التونسية، إلى واشنطن، بعد أقل من شهرين من خطاب أريحا، لطلب الدعم المالي الأمريكي، وتمت الاستجابة لطلبه. والتمست وزارة الخارجية الأمريكية من إسرائيل التوسط لمصلحة الحكومة التونسية مع حكومتي فرنسا وألمانيا الغربية للحصول على دعم مالي يقدر بـ 20 مليون دولار. كما طلب الأمريكيون في الإطار نفسه من إسرائيل شراء الخمور التونسية. وخلال الفترة نفسها أقام الطرفان خلية اتصال دائمة من خلال سفيريهما في باريس محمد المصمودي و والتر إيتان، وذلك بحضور الموساد الإسرائيلي[3]، وتلاحظ الوثائق الإسرائيلية في هذا الشأن أن موافقتها على الاستجابة للمطالب

[1] عبد السلام قلال، الحبيب بورقيبة زعيم الامة ورئيس الدولة، شهادات وخواطر من جيل الاستقلال، د م، شركة اوميغا للنشر ، 2021م، ص 99.

[2]-عبد السلام قلال الحبيب، المرجع السابق، ص 100.

[3]– عبد الجليل التميمي، المرجع السابق، ص 51.

الأمريكية كان على أمل أن تساهم الحكومة التونسية في تشجيع حكومات عربية "معتدلة" أُخرى على إفشال أو تخريب الجهود المصرية السورية للوحدة العربية[1].

لم تجد مبادرة بورقيبة تلك من يساندها أو يؤيدها،فقد رفضتها الأنظمة العربية الثورية والمحافظة على السواء، كما رفضتها كل التنظيمات الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية[2]، ورحبت بها الولايات المتحدة الأمريكية من دون أن تساندها. أمّا الاتحاد السوفياتي فالتزم الصمت على الرغم من أن مبادرة بورقيبة تلك كانت قريبة جداً من رؤيته السياسية للقضية الفلسطينية، وأمّا بورقيبة نفسه فقال أن تصريحاته تلك كانت "بمثابة صخرة كبيرة ألقيتُ بها في ماء متعفن"[3]، وأضاف أن "الزمان سوف يقيم البرهان على صحتها"[4]، وتوجه إلى الفلسطينيين قائلاً: "هذه نصيحتي.. وطريقتي.. ولعلكم ستتذكرونها وتذكرون معها الحبيب بورقيبة ونظرته إلى القضية الفلسطينية وآراءه التي تقدم بها إليكم"[5]، كما ردّد: "سيقول الفلسطينيون ذات يوم لو اتبعنا هذه الطريقة لكان من الممكن أن تحقق لنا ما حققت لغيرنا ولكن الأبواب أغلقت في وجوهنا مع الأسف"[6].

[1]– المرجع نفسه، ص 51.

[2]– ماهر الشريف، المرجع السابق، ص ص 179–180.

[3]–الحبيب بورقيبة، "تونس..."، المصدر السابق، ص 98.

[4]– المصدر السابق، ص 99.

[5]– المصدر السابق، ص 70.

[6]– المصدر السابق، ص 169.

خلاصة:

وقفنا إزاء آراء بورقيبة من القضية الفلسطينية موقفاً مرتبكاً وربما مشكوكا، ذلك بأن قراءته "الواقعية" كانت تجد لها يومياً صدى ضمن الأحداث الإقليمية والدولية، وربما اتخذت هذه القراءة لها مستنداً: الصلات الطيبة عامة التي كانت تطبع علاقة التونسيين باليهود في البلاد التونسية على مرور الأزمنة، وكذلك العلاقات الودية التاريخية بين سكان البلاد التونسية وغيرهم من الأقليات الوافدة ،إلاّ إن هذا المستند على واقعيته، كان غير قادر لوحده ليكون أسس تجربة وأطروحة لصراع مستحكم كان أحد أطرافه يؤمن بأن أرض فلسطين هي أرضه الموعودة بغية تركيز كيان استئصالي لا يعترف للفلسطينيين السكان الأصليين بحق الوجود.

الخاتمة

الخاتمة

من خلال ما تم دراسته يمكن القول أننا قد سلطنا الضوء على مرحلة هامة من مراحل التاريخ العربي، ونخص بالذكر الصراع العربي الإسرائيلي أثناء الاحتلال الفرنسي لتونس، ومدى مساهمة تونس في النزاع الفلسطيني الإسرائيلي من خلال تياراتها السياسية التحررية آنذاك، وقد توصلنا إلى مجموعة من الاستنتاجات والمقارنات :

- إن التغيرات السياسية التي حصلت في القرن التاسع عشر، كان لها دور أساسي في نشأة الفكر الصهيوني وتطوره.
- مهمة الحركة الصهيونية تمثلت في محاولة تغيير واقع اليهود في قارة أوروبا إلى دولة قومية تجمع اليهود من كل أنحاء العالم، فكان نجاح المشروع الصهيوني من خلال التقاء المصالح الاستعمارية للدول الغربية مع الأهداف الصهيونية السياسية وما لقيه من دعم مادي و عسكري وسياسي لإيجاد ذلك الوطن القومي لهم.
- إن القضية الفلسطينية كانت ولا تزال محل اهتمام التونسيين من جميع أعمار وأطياف المجتمع، حيث نجد السياسيين والمثقفين التونسيين أوصلوا بالقضية إلى أبعد الحدود رغم الإمكانيات المحدودة إذ جعلوها و اعتبروها قضية عادلة و لا تختلف عن قضيتهم.
- لم يكتف الشعب التونسي بالتبرع بالمال، أو نشر الوعي بالقضية فحسب، بل تعدى ذلك إلى التضحية بالنفس والنفيس من أجل فلسطين، فهجروا من بيوتهم متخطين الحدود
- كان للزعماء الاصلاحيين التونسيين وعلى رأسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبي دور محوري في دعم القضية الفلسطينية سواء من خلال التحسيس بخطورتها ،أو عبر النشاط السياسي و الإعلامي،مما ساهم في خلقوعي وطني تونسيمبكر اتجاهالخطر الصهيوني .
- تميز السياسي الشيخ فاضل بن عاشور في ازدواجية عمله داخليا بمرافعاته الرافضة للاستعمار الفرنسي، و خارجيا بجعل المحاضرات عنوانا عاما معبرا وهو: ''**فلسطين الوطن القومي للعرب**''، وسياق هذه المحاضرات هو الوقوف في وجه الحملات الدعائية الصهيونية التي لقيت دعما هاما من الصحف الاستعمارية.

- حمّل بورقيبة الدول الأوروبية مسؤولية ما حدث للجماعات اليهودية في القارة، ومسؤولية إنشاء الدولة الصهيونية ونتائج ذلك على الشعب الفلسطيني،وهو ما يعني ضرورة سعيها لإيجاد حلول سياسية ناجعة لمعاناة هذا الشعب. ففي الوقت الذي أكد بورقيبة معاناة اليهود وآلامهم ولا سيما "في أوروبا الوسطى والشرقية" في العصور الحديثة، بيّن في المقابل أن ذلك لا يمكن أن يكون سبباً في إخلاء أوروبا من "الفئات اليهودية التي نجت من المغامرات الهتلرية وإقرارها بالقوة في البلاد الوحيدة التي لم تضطهد اليهود البتة"،واعتبر أن ما حدث "مظلمة" تتحمل أوروبا مسؤوليتها.
- دعوة بورقيبة الى اعتبار الصراع بين الفلسطينيين وإسرائيل هو صراع شعب احتلت ارضه وليس الصراع بين العرب وإسرائيل ، وضرورة حمل الفلسطنيون لمشعل الدفاع عن أرضهم.
- استشهد بورقيبة بالثورة الجزائرية،ودعا إلى الاستفادة من تجربتها من دون استنساخها، إذ كان على وعي بخصوصية القضية الفلسطينية وبخصوصية ما حدث في فلسطين، لكنه في الوقت ذاته أكد ضرورة أن يبادر الفلسطينيون بالقتال ضد الدولة الصهيونية،وأن يبرهنوا صدقهم وجديتهم، وحينها يأتيهم الدعم والمدد، وعليهم ألاّ ينتظروا دعم الدول العربية والجامعة العربية،كما دعاهم من جهة أُخرى إلى خلق قاعدة آمنة ونسج علاقات طيبة مع دول الجوار تدفع في اتجاه حماية المقاومة والتضامن معها والانتصار لها وهي من الشروط الأساسية لاستمرار الثورة وثباتها.
- رفض بورقيبة الوجود الإسرائيلي في فلسطين كونه جاء لاحلال محل شعب اخر، ودعا الى قبول التقسيم الذي أقرته الأمم المتحدة وعودة الفلسطنين الى وطنهم لاقرار التوازن.
- بالرغم من إختلاف المنطلق الفكري للتيارين الاصلاحي –بزعامة عبد العزيز الثعالبي وفاضل بن عاشور– الذي إعتمد على الخطابات والرفض التام للوجود الصهيوني في فلسطين والتيار اللبرالي –بزعامة الحبيب بورقيبة –الذّي دعا إلى الحل السلمي وقبول قيام الدولة الصهيونية على الارض الفلسطينية إلا أنّ نظرتهم حول إبعاد الدول الغربية عن القضية وضرورة دفاع الفلسطنيين عن بلادهم كانت متشابهة.

الملاحق

الملحق رقم 01: خريطة فلسطين

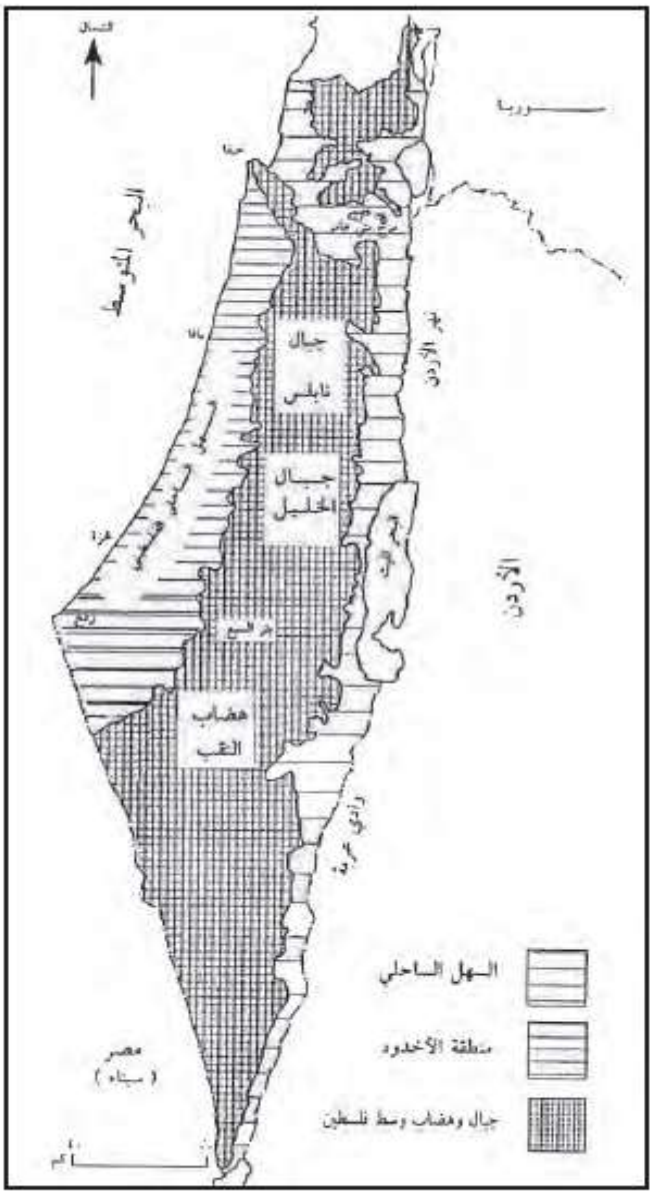

• جغرافية فلسطين

المصدر: محسن محمد صالح، القضية الفلسطينية خلفياتها تاريخية وتطوراتها المعاصرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2012، ص 11.

الملحق رقم 02: خارطة فلسطين بعد التقسيم.

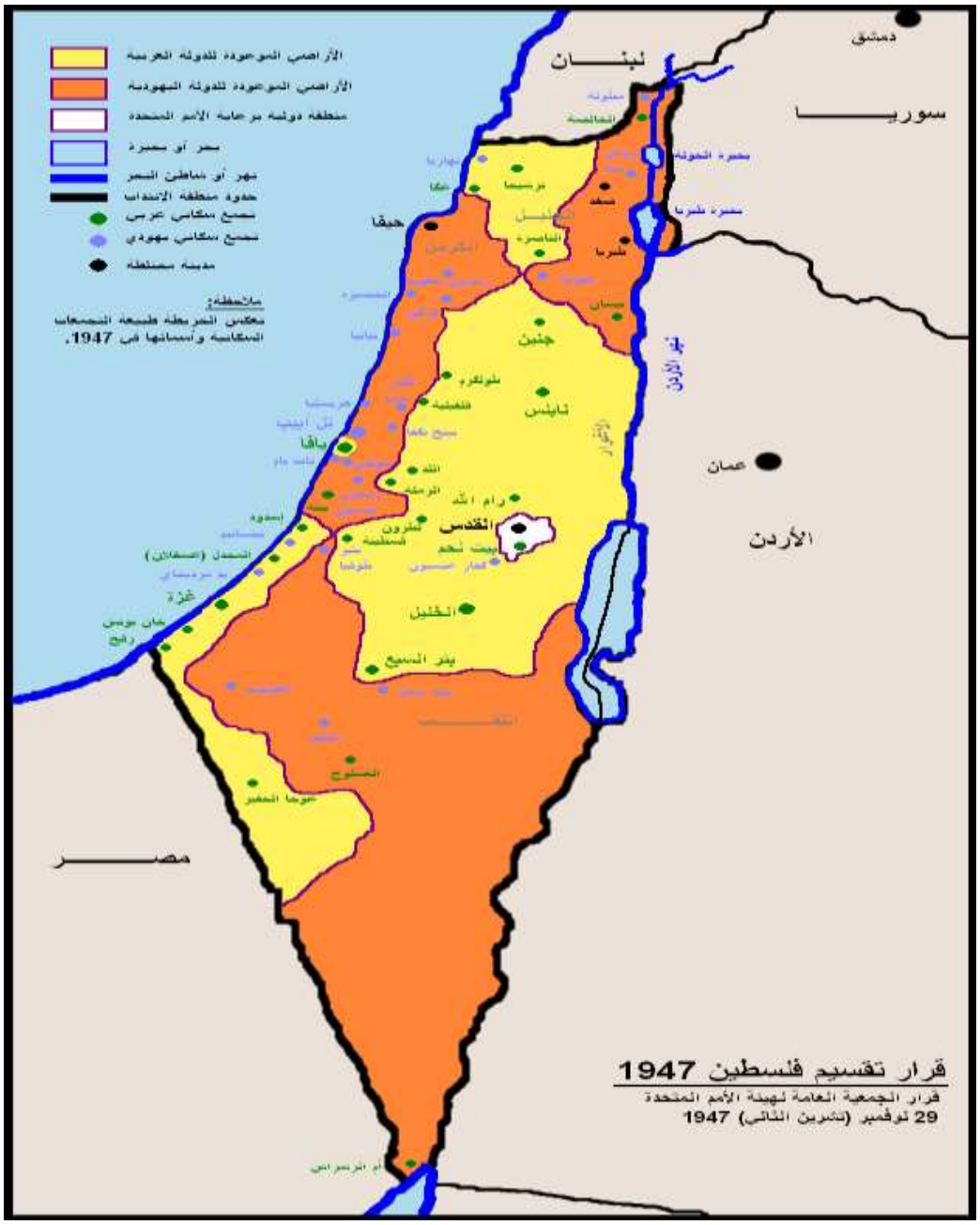

المصدر:

https://ar.m.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%81:UN_Partition_Plan_For_Palestine_1947_Arabic.png. أطلع عليه يوم: 2025/05/12 على الساعة 12:15 سا .

الملحق رقم 03: عبد العزيز الثعالبي مؤسس الحزب الحر الدستوري التونسي (1920)

المصدر: أحمد قصاب: تاريخ تونس المعاصر (1881- 1956)، تع: حمادي ساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، 1986، ص 501.

الملحق رقم 04: صور من الأرشيف محمد فاضل بن عاشور

المصدر: https://ar.leaders.com.tn/article/5529، أطلع عليه بتاريخ: 2025/05/18 على الساعة: 14:25سا

الملحق رقم 05: صور لمظاهر النكبة.

المصدر: https://ecss.com.eg/45626/، أطلع عليه يوم: 2025/05/12 على الساعة 12:30 سا

الملحق رقم 06: الحبيب بورقيبة

المصدر: عبد السلام قلال، المرجع السابق، ص 86 .

قائمة المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

أولا– المصادر باللغة العربية :

1. ابن عاشور الفاصل، فلسطين الوطن القومي للعرب، نشر علي الجندوبي، تونس، 2009
2. ابن عاشور محمد فاضل، الحركة الأدبية والفكرية في تونس في القرنين 13-14هـ /19-20م، بيت الحكمة، قرطاج، 2009.
3. بن بلغيث الشيباني، دور الشيخ عبد العزيز الثعالبيّ في المؤتمر الإسلاميّ العامّ في القدس ، 1931م.
4. بورقيبة الحبيب ، "الخطب" (تونس: كتابة الدولة للأخبار، 1974)، الجزء 01، خطاب مؤرخ في 1955/12/11.
5. بورقيبةالحبيب ، "تونس وقضية فلسطين" (تونس: كتابة الدولة للأخبار والإرشاد، 1966).
6. الثعالبي عبد العزيز ، تونس الشهيدة ، ط1 ، دار القدس ، بيروت ، 1975.
7. الثعالبي عبد العزيز ، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس 1931 ، ط 1، تح: الساحلي (حمادي)، دار الغرب ، الإسلامي، (بيروت لبنان) ، 1988 .
8. الثعالبي عبد العزيز ، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس 1931 ، ط 1، تح: الساحلي (حمادي)، دار الغرب ، الإسلامي، (بيروت لبنان) ، 1988.

ثانيا–المراجع باللغة العربية :

1. ابراهيم خليل احمد، اسرائيل فتنة الأجيال العصور القديمة، (د ط)، دار العهد الجديد، مكتبة الوعي العربي، (د ت).
2. أفا عمر، محاضرات الكتاب التذكاري ، معهد محمد الخامس بتارودانت 1956-2005، ط 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، نشر دار السلام، الرباط، 2021.
3. بلخوجة الطاهر،الحبيب بورقيبة سيرة زعيم، القاهرة : دار الثقافية للنشر ، ط1 ، 1999 .
4. التل عبد الله، خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، (د ط)، دار القلم، (د م)، 1964.
5. التل عبد الله، خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، (د ط)، دار القلم، (د م)، 1964.
6. التميمي عبد الجليل "دراسات في منهجية الحكم والسياسة البورقيبية" تونس، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات،2007

7.التيمومي الهادي ،" النشاط الصهيوني بتونس1948-1897 ، تونس، دار محمد علي الحامي، الطبعة الثانية، 2001.

8.الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، من الانتداب إلى النكبة 1919 - 1948 ، الدار الوطنية الجديدة، دمشق ، 2017 .

9.جغام حسن أحمد، أمة اجتمعت في إنسان ، منشورات دار المعارف ، سوسة (،تونس ، 1989 .

10. الحناشي عبد اللطيف ، تطور الخطاب السياسي في تونس اتجاه القضية الفلسطينية 1950-1955، ط1، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، 2016.

11. الحناشي عبد اللطيف، الشيخ عبد العزيز الثعالبي والقضية الفلسطينية، 1923-1944 جامعة منوبة ، تونس.

12. خرفي صالح ،عبد العزيز الثعالبي من آثاره و أخباره في المشرق و المغرب،ط1،دار الغرب الإسلامي 1995.

13. خلة كامل محمود ،فلسطين والانتداب البريطاني 1922 - 1939 ، ط 2 ، مركز الأبحاث، بيروت، 1982 .

14. درويش هدى، العلاقات التركية اليهودية وأثرها على البلاد العربية منذ قيام دعوة اليهود الدونمة 1648 م إلى نهاية القرن العشرين، ج 1 ، (د ط)، دار القلم، دمشق، 2002 .

15. الرفاعي وائل محمد محمود ، الانقسامات داخل الإدارة الأمريكية تجاه قرار تقسيم فلسطين 1987 ، مجلة كلية الآداب ، جامعة بور سعيد، 2016 .

16. سالم جمال، جُغرافيّةُ فِلَسطين وتاريخُها الحديثُ والمعاصر، الجزء 1، الطبعة 3، مركز المناهج، فلسطين، 2020.

17. شريف ريجينا ، الصهيونية عبر اليهودية جذورها في التاريخ العربي، تر: أحمد عبد الله عبد العزيز ،(د ط) ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ،الكويت ، 1985 .

18. الشريف ماهر، "البحث عن كيان "، دراسة في الفكر السياسي الفلسطيني 1908-1993، قبرص: (مركز الأبحاث والدراسات الاشتراكية في العالم العربي)، 1995 .

19. الصافي السعيد، بورقيبة مسيرة شبه محرمة، ط 1، رياض الريس للكتاب والنشر، بيروت، 2000.

20. صالح محمدمحسن ، التيار الإسلامي في فلسطين وأثره في حركة الجهاد 1917-1948، تقديم الشيخ عمر الأشقر، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع – الكويت، ط 2، 1989.

21. صالح محمدمحسن ،فلسطين سلسلة دراسات منهجية في القضية الفلسطينية، ط1، ماليزيا، 2002.

22. صالح محمدمحسن، القضية الفلسطينية خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاسرة، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2012.

23. العارف عارف، نكبة فلسطين والفردوس المفقود (1948 - 1952)، ج 1 ، (د ط) ، دار الهدى ، (د م) (د ت).

24. عايش منير وآخرون، جغرافية فلسطين وتاريخها الحديث والمعاصر، ج 3، مركز المناهج، فلسطين، 2020 .

25. عايش منير وآخرون، جغرافية فلسطين وتاريخها الحديث والمعاصر، ج 3، مركز المناهج، فلسطين، 2020 .

26. عبد الفتاح عبد الكافي اسماعيل ، إدارة الصراعات والأزمات الدولية نظرة مقارنة لإدارة الصراع العربي الاسرائيلي في مرحلة مختلفة، (د ط)، (د د)، (د م)، (د ت).

27. عبوشي واصف، فلسطين قبل الضياع قراءة جديدة في المصادر البريطانية، تر: علي الحرباوي، (د ط)، رياض الريس، فلسطين، 1949 .

28. عرابي رجا عبد الحميد ، سفر التاريخ اليهودي، ط 2 ، الأوائل، سورية، 2006 .

29. عزة محمد وزورة ، "القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها"، ج 1، د.ط، منشورات المكتبة العصرية، صيدا (بيروت)، 1959 .

30. علاق حسان، فلسطين في المؤتمرات العربية والدولية وثائق ومراسلات تنشر للمرة الأولى،(د ط)، منشورات مجدلاوي ،الأردن، 1998 .

31. العلاني عبد الحميد ، لم يناموا على الذل ، شهادات لعدد من المناضلين والمقاومين من تونس والقيروان والساحل، شركة فنون الرسم و النشر و الصحافة ، تونس 2006 .

32. غربي الغالي، دراسات في تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي 1288 - 1916، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011 .

33. فوزي الجدية، حرب عام 1948 وقيام دولة إسرائيل، قسم الجغرافية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، غزة، 2008.

34. القدومي عيسى، فلسطين وأكذوبة بيع الأرض، بيت المقدس، قبرص، 2004 .

35. قرار تقسيم فلسطين واتفاقيات أخرى ، ط 3 ، الركن، بيروت، 1989 .

36. قصاب أحمد، تاريخ تونس المعاصر، 1881-1956، تع: حمادي ساحلي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.

37. قلال عبد السلام، الحبيب بورقيبة زعيم أمة ورئيس دولة، شهادات وخواطر، شركة اوميغا للنشر، 2021.

38. كريم عبد المجيد ، العمل الوطني من الإحتلال إلى الحرب العالمية الأولى ، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية (مقاربة 1964-1991 ، المعهد الألعلى لتاريخ الحرجة الوطنية ، جامعة منومبة ، تونس ، 2008 .

39. الكيالي عبد الوهاب، تاريخ فلسطين الحديث، ط 10 ، دار الفاس، عمان، (د ت)

40. لورانس هنري، اللعبة الكبرى المشرق العربي والأطماع الدولية، تر: عبد الحكيم الأربد، ط 2، دار الجماهرية، مصراتة، (دت).

41. محمد أبو نحل أسامة، ناجي صادق شراب، قراءة في أهم مواد صك الانتداب البريطاني على فلسطين، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأزهر، فلسطين، (د ت) .

42. محمود رياض، مذكرات (1948 -1978) ، جزآن، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط 2، ج1، 1987.

43. مسعود بو الخضرة مسعودة، الشيخ عبد العزيز الثعالبي و دوره في الإصلاح الإسلامي، ط1، المكتبة العصرية، بيروت ، 1995 .

44. مناصرية يوسف، الصراع الإيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937 "، د.ط، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة ،تونس،2002.

45. المناعي حسن ، الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور، مسيرته العلمية والإصلاحية، ط مركز النشر الجامعي، منوبة.

46. ناثور مردخاي، الصهيونية في مائة عام 1897 - 1996 ، ت ر: عمرو زكريا خليل ، (د د)، (د ط)، (د م)، (د س).

47. نويهض عادل ، معجم أعلام الجزائر . مؤسسة نويهض للثقافة ، بيروت ، 1980 .
48. الهور منير، طارق الموسى، مشاريع التسوية للقضية الفلسطينية 1947 - 8319 ، دار الجليل، عمان، 1947-1983 .

-المصادر باللغة الأجنبية:

1.Bourguiba Habib : ma vie mon œuvre (1929-1933), éd : plom, Paris, 1987

2.Jean François Martin : Histoire de la tunisie comtemporaine, de Ferry à Bourrguiba (1881- 1956), L'harmattan, p19

3.Jean-Paul Chagnollan, Maghreb et Palestine Paris: Sindbad, 1977.

4.Samule. Merlin, Guerre et paix au moyen orient Le défi de Bourguiba, tr : Paul Chwat. éd. Denoël, 1970.

5.Sliman Ben Sliman, Souvenirs politiques Tunis: Cérès production, 1989.

-المراجع باللغة الأجنبية:

1.Après les incidents du Colisé MISE AU POINT," L'Action Tunisienne, no. 241.

2.Kazdaghli Habib,"Bourguiba et la communauté juive de Tunisie au lendemain de l'indépendance," in actes du IIe congrès sur: Bourguiba, les Bourguibisme et .la construction de l'Etat National .

- الرسائل والأطروحات الجامعية:

1.أبو نحل أسامة محمد ، ناجي صادق شراب، قراءة في أهم مواد صك الانتداب البريطاني على فلسطين، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الأزهر، فلسطين، (د ت) .

2.أبوجزرأحمد،"بلدان المغرب العربي والقضية الفلسطينية "1948-1978 (تونس، الجزائر، المغرب)، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: نويصر مصطفى، جامعة الجزائر2، 2013-2014.

3.جعفر أحمد محمد ، دراسة نقدية في قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة 181 - 194 المتعلقة بالقضية الفلسطينية، مذكرة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2008 .

4.خير بك بشرى، موقف الحركات الوطنية في أقطار المغرب العربي (تونس الجزائر المغرب) من قضية فلسطين خلال فترة مابين الحربين "1939- 1920 "، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة دمشق، 2004-2005.

5.روبين عبد العزيز إيمان أبو خضورة، المنظمات العسكرية والأمنية الصهيونية في فلسطين(1897 - 1920) ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والأثار، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية غزة، 2012 .

6.عقيب محمد السعيد، لحزب الحر الدستوري التونسي القديم 1956- 1934 ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر،جامعة الجزائر2، 2009-2010.

7.قدادرة شايب: الحزب الدستوري وحزب الشعب الجزائري 1934- 1954 ، دراسة مقارنة، أطروحة لنيل درجة دكتوراه تاريخ حديث ومعاصر ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007 .

8.معزة عز الدين: فرحات عباس والحبيب بورقيبة ، 1999-2000، دراسة تاريخية وفكرية، مقاربة، أطروحة لنيل درجة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية . جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 .

مذكرات الماستر

1.سليماني ليلى لشهب مايسة ، الانتداب البريطاني على فلسطين وآثاره (1920 - 1919)، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف ، 2019 – 2020

2.صامري خولة ، الصراع العربي الاسرائيلي حرب 1948 م أنموذجا، مذكرة ماستر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة ، 2012 - 2013 .

المصادر و المراجع

المجلات :

1. بحوش هشام، ضرورة اصلاح منظمة الأمم المتحدة، مجلة مداولات سياسية، م ،ع 2 ، جامعة محمد الشريف مساعدة، سوق أهراس، 2021 .

2. بنيامين بيت هالحمي، "التاريخ يطارد الصهيونية ويلحق بها"، "الكرمل"، عدد خاص 55-56،

3. الحناشي عبد اللطيف ، موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية (1946-1956) ، مجلة الدراسات الفلسطينية، مج 18، ع 69، 2007.

4. غنيم أحمد ، وعد بلفور بين عصبة الأمم وصك الانتداب، قضايا اسرائيلية ، ع 65 ، (د س).

5. قرار التقسيم رقم 181.70 لتقسيم فلسطين، قضايا اسرائيلية، ع 67 .

6. مجلّة المعرفة، منشورات مجلّة العرفان، مصر أيلول 1931م، مجلّد 22،باب مختارات الصحف، جزء 4 .

7. النمس جلنار ، "القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة 1947-1973، قرارات ومواقف"، "شؤون فلسطينية"، العدد 97 ،كانون الأول/ديسمبر 1979 .

-المواقع الالكترونية:

1. http://www.awraq.birzeit.edu/sites/default/files/1931 – Islamic Conference Attending Countries_0.pdf

2. https://fanack.com/ar/palestine/geography-of-palestine/

3. https://qii.media/s/47/763

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الفهرس

شكر

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة ..... أ-ج

الفصل الأول: القضية الفلسطينية من الانتداب إلى الاحتلال الصهيوني

تمهيد 7

المبحث الأول: الإطار الجغرافي لفلسطين 8

المطلب الأول: الخصائص الجغرافية لفلسطين 8

المطلب الثاني: التضاريس الفلسطينية 10

المبحث الثاني: التطور التاريخي للقضية الفلسطينية 14

المطلب الأول: الانتداب البريطاني على فلسطين 1920 م 14

المطلب الثاني: قيام دولة إسرائيل 1948 م 18

المطلب الثالث: تقسيم فلسطين 1947 و ردود الفعل العربية و الإسلامية 21

الفصل الثاني:موقف الإصلاحيين الثعالبي و فاضل بن عاشور من القضية الفلسطينية

تمهيد 25

المبحث الأول: التعريف بالشيخين عبد العزيز الثعالبي و فاضل بن عاشور 26

المطلب الأول: الشيخ عبد العزيز الثعالبي..... 26

المطلب الثاني: الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور..... 30

المبحث الثاني: مساهماتهما في إثراء القضية الفلسطينية 35

المطلب الأول: مساهمات الشيخ عبد العزيز الثعالبي 35

المطلب الثاني: مساهمات الشيخ فاضل بن عاشور 41

الفصل الثالث: موقف التيار الليبيرالي–بورقيبة–من القضية الفلسطينية

تمهيد 50

المبحث الأول: التعريف بالراحل الحبيب بورقيبة 51

المطلب الأول: المولد و النشأة 51

المطلب الثاني: وظائفه و توجهاته السياسية..... 53

المبحث الثاني: موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية 1946-1965 58

المطلب الأول: اهتمام بورقيبة بالقضية الفلسطينية قبل استقلال تونس السياسي 58

فهرس المحتويات

المطلب الثاني: موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية والقضايا المرتبطة بها، 1956 – 1964 61

المطلب الثالث: مبادرة بورقيبة سنة 1965 69

الخاتمة 77

الملاحق 80

قائمة المصادر و المراجع 97

الملخص

الملخص

الملخص

ملخص:

القضية الفلسطينية بي قضية لزورية في الدشر ك الدغرب العربم ين، حيث شغلت انتما الأمة العربية بأكملها، ك تزامننا مع فرض الحماية الفرنسية على تونس، شهدت فلسطتُ تطورات عام،1881بدأت فرنسا التدخل في تونس بحجة حماية مصالحها، لشا أدل إلذ توقيع معابدة الحماية في عا ،1883في نفس الوقت، كانت فلسطتُ تشهد صعود الحركة الصهيونية كظهور الذجرة اليهودية إليها، لشا أدل إلذ توترات متزايدة مع السكاف المحليتُ.

ك لد يكتفي قواد التيارت التونسية في الكفاح ك الدقاكمة السياسية ضد الفرنسيتُ، بل كاف تفكتَم كتوجهاتهم ابذاه القضية لفلسطينية بالتوازم ك توجهاتهم التحررية من أجل بلادم تونس، كاف الشيخ عبد العزيز الثعالبي على علاقة بفلسطتُ كبرجالاتها إذ زارنا العديد من الدرات كلعب دكرا لشيزا في التوفيق بتُ بعض الفرقاء السياسيتُ الفلسطينيتُ،كما سادم في التعريف بالقضية التونسية في ا العربي كفلسطتُ كحث التونسيتُ للانتماء بالقضية الفلسطينية ، كما شدت سنة 1947تركيز الشيخ لزمد الفاضل بن عاشور على قضية فلسطتُ حيث قا بإبراز أبيمتها الفائقة كلعب دكر الداعية كالمحرض الددافع عن "فلسطتُ الوطن القومي للعرب"، بذه التسمية التي جعلها عنوانا لسلسلة من المحاضرات الدتتالية التي ألقانا بنادم الجمعية الخلدكنية بتُ سنتي 1947ك ،1948يفتتح الشيخ الفاضل ابن عاشور أكلذ لزاضراتو، أما الرئيس التونسي الراحل الحبيب بورقيبة قد مبادرة بسثهلت في إلغاد بحل للقضية الفلسطينية، يمنادينا بقبو قرار الأيمم الدتحدة الذم صدر بتاريخ 29نوفمبر 1947 كن هص على تقسيم فلسطتُ إلذ دكلتتُ: عربية، كيهودية، أصبح الدوضوع الفلسطيتٍ نقطة الالتقاء أك حلقة الاحتلكا الأساسية بتُ الصهيونية كالأقليّة اليهوديّة من جهة كالدستور كالمجتمع الإسلامي التونسي من جهة أخرل.

Abstract:

The Palestinian issue is a pivotal issue in the Arab East and West, capturing the attention of the entire Arab nations. Coinciding with the imposition of the French protectorate over Tunisia, Palestine witnessed significant developments in 1881. France began intervening in Tunisia under the pretext of protecting its interests, leading to the signing of the protectorate treaty in 1883. At the same time, Palestine was witnessing the rise of the Zionist movement and the emergence of Jewish immigration, which led to increasing tensions with the local population. The leaders of the Tunisian movements were not satisfied with the struggle and political resistance against the French, but their thinking and orientations towards the Palestinian cause were parallel to their liberationist orientations for their country, Tunisia. Sheikh Abdel Aziz Al-Thaalibi had a relationship with Palestine and its men, as he visited it many times and played a distinguished role in reconciling some Palestinian political opponents. He also contributed to introducing the Tunisian cause in the Arab East and Palestine and urging Tunisians to pay attention to the Palestinian cause. The year 1947 also witnessed Sheikh Muhammad Al-Fadhel Ben Ashour's focus on the Palestinian cause, as he highlighted its extreme importance and played the role of the preacher and instigator defending "Palestine, the national homeland of the Arabs." This name he made the title of a series of successive lectures that he delivered at the Khaldouniya Association Club between 1947 and 1948. Sheikh Al-Fadhel Ben Ashour opened his first lectures. As for the late Tunisian President Habib Bourguiba, he presented an initiative that represented finding a solution to the Palestinian cause, calling for the acceptance of the United Nations resolution issued on 29 November, 1947, stipulated the partition of Palestine into two states: one Arab and one Jewish. The Palestinian issue thus became the point of convergence or the main point of friction between Zionism and the Jewish minority on the one hand, and the Tunisian constitution and Islamic society on the other.